الباب السابع

اللامبالاة بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[1]

الفصل الأول ـ ***اللامبالاة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.***

الفصل الثاني ـ ***خطورة اللامبالاة بذلك.***

الفصل الثالث ـ ***ضرورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.***

الفصل الرابع ـ ***فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.***

الفصل الخامس ـ ***صور مشرقة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.***

الفصل السادس ـ ***كيفية إنكار المنكر.***

الفصل السابع ـ ***أسئلة وأجوبة حول الموضوع.***

قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: **«سيأتي على الناس زمان تكون مجالسة الناس كجيفة الحمار، وتكون جيفة الحمار أحب إليهم من مجالسة المؤمن الذي يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر».**

---

(١) لقد أسهبت في هذا الباب لأن عليه مدار صلاح الدين والدنيا، ومتى قامت الأمة به تلاشت مظاهر اللامبالاة من المجتمع؛ لذا ذكرته بالتفصيل ـ فالله المستعان ـ.

obeikandl.com

الفصل الأول

اللامبالاة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ومن اللامبالاة التي أصابت نفوس كثير من الناس بالبلادة وتبلد الإحساس حتى أضحت أمرًا عاديًا: قضية اللامبالاة بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فهذا يشرب الخمر ولا يجد من ينكر عليه، وذلك يتعامل بالربا ولا يجد من يقول له: اتق الله، وهذه متبرجة سافرة قد ضلت وأضلت ومالت، ولا تجد من يقول لها: اتقي الله، وهذا يشرب الدخان والمخدرات ولا يجد من ينبذه ويهجره حتى يرجع عن غيه وضلاله، وحدِّث عما يحدث في الأفراح من منكرات ومحرمات، ولا تسمع أحدًا يقول: هذا مخالف لأمر الله ولأمر رسوله، فالأفراح صارت مستنقعًا للرزيلة والفجور بدعوى الفرح والسرور، فيها غناء، وتبرج، وشرب دخان، وإسراف وتبذير، واختلاط بين الرجال والنساء . . وهلم جرا، ومآتمنا أصابها ما أصاب الأفراح من ابتداع في الدين واجتماع غير مشروع وإضاعة للصلوات.

ومع هذا البلاء لا نسمع من يقول لهم: اتقوا الله، إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم، وإذا أمر آمر، أو نهى ناهٍ، سمعت الضجر والغضب، وكأنه اقترف إثمًا عظيمًا، وصدق حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: **«سيأتي على الناس زمان تكون مجالسة الناس كجيفة الحمار، وتكون جيفة الحمار أحب إليهم من مجالسة المؤمن، الذي يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر»**.

يقول العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ: أيها الناس . . لقد مرضت القلوب وكاد المرض يقضي على بعضها بالموت، حتى نُزعت الغيرة الدينية من كثير

منها، فأصبحت لا ترى المعروف معروفًا، والمنكر منكرًا، أصبح الإنسان من هؤلاء لا يتمعر وجهه ولا يتغير من انتهاك حرمات الله، وكأنه إذا حدث انتهاكها يحدث عن أمر عادي لا يؤبه له، وهذا والله هو الداء العضال الذي هو أعظم من فقد النفوس والأولاد والأموال. اهـ[1].

ويقول أيضًا ـ وهو يصف تلك اللامبالاة التي انتشر خطرها واستفحل أمرها ـ: عباد الله .. لقد انتشرت المعاصي في مجتمع الأمة الإسلامية، وأصبح ما كان منكرًا بالأمس معروفًا، اليوم أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات، تعاملوا بالربا ومنعوا الزكاة وابتعدوا عن الحياء وانتهكوا الحرمات، صدوا عن سبيل الله، واتبعوا سبل الكافرين، زُين لهم سوء أعمالهم، فظنوا ذلك تحررًا وتقدمًا وتطورًا، وما علموا أن ذلك هو الرق تحت قيود الهوى، والتأخر عن الفضائل إلى الورى، والتدهور إلى الهاوية والردى.

أيها المسلمون .. المؤمنون بمحمد ﷺ، إن أسباب التدهور ترجع إلى أمرين:

أحدهما ـ ضعف الدين في النفوس، وقوة إلى الباطل.

والثانية ـ ضعف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمداهنة في دين الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ وإن حماية الدين لا تكون إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الأمر بما أمر الله به ورسوله، والنهي عما نهى الله عنه ورسوله، بقصد النصيحة لله ولعباد الله.

أيها المسلمون .. إن من المؤسف المروع أن نرى مجتمعنا الإسلامي أمة هكذا شعبًا متفككًا، لا يغارون لدين الله، ولا يخافون من وبال لا يتفقد الرجل أهله

---

(١) «الضياء اللامع» (ص٢٦٥).

وولده، ولا ينظر في جيرانه، بل تراه يرى المعاصي فيهم، لا ينهاهم عنها، ويرى التقصير في الواجب، فلا يتداركه، وهذا ـ أيها المسلمون ـ ينذر بالخطر، لا سيما مع كثرة النعم، والإنغماس في الترف، يقول الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ (الإسراء: ١٦)، ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ (الأنعام: ٤٤)[1].

(١) «الضياء اللامع» (ص٥٩٦-٥٩٧).

الفصل الثاني

خطورة اللامبالاة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

في هذا الفصل نوضح لكل مسلم ومسلمة يرجو النجاة لنفسه وأهله وأمته، خطورة اللامبالاة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، علَّ وعسى أن يكون ذلك سبب من أسباب عودة الأمة إلى قطب الإسلام الأعظم، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، ونجاة الأمة من تيه الغفلة، ونجاة سفينة الإسلام من خطر هؤلاء البطالين الذين ما فتئوا يخرقون تلك السفينة!.

❁ وإليك ـ أخي المسلم .. أختي المسلمة ـ آثار اللامبالاة بتلك الفريضة:

١ ـ كثرة الخبث:

روى البخاري ومسلم عن زينب بنت جحش رضي الله عنها: أن النبي ﷺ استيقظ يومًا من نومه فزعًا، وهو يقول: «**لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم ياجوم وماجوج مثل هذا**»، وحلَّق بين أصبعيه السبابة والإبهام، فقالت له زينب رضي الله عنها: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟!، قال: «**نعم، إذا كثر الخبث**».

وكيف يكثر الخبث؟ إن المنكر إذا أعلن في مجتمع ولن يجد من يقف أمامه وفي وجهه يمتد، فإنَّ سوقه تقوم، وعوده يشتد، وسلطته تظهر، ورواقه يمتد، ويصبح دليلاً على تمكن أهل المنكر وقوتهم، وذريعة لاقتداء الناس بهم، وتقليدهم إياهم، وما أحرص أهل المنكر على ذلك، لهذا توعدهم الله ـ جَلَّ وعَلا ـ، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ (النور: ١٩)، وعند ذلك ينحسر المعروف بل يصبح منكرًا وتصير على العيون غشاوة، فلا ترى إلا ما أشربت من هواها.

ثانيًا - إن كثرة الخبث تؤذن بالعذاب الإلهي العام، والهلاك الشامل، كما ورد ذلك في حديث زينب السابق، ولقد بوب الإمام مالك في (الموطأ) على هذا الحديث بابًا سماه: «*باب ما جاء في عذاب العامة بعمل الخاصة*»، وساق تحت الباب أثرًا عن عمر بن عبد العزيز، وهو قوله: «**كان يُقال: إن الله ـ تبارك وتعالى ـ لا يعذب العامة بذنب الخاصة، ولكن إذا عُمِلَ المنكر جهارًا استحقوا كلهم**»[1].

وقد قص الله تعالى علينا خبر بني إسرائيل حين نهاهم أنْ يعدوا في السبت، ولنا في تلك القصة عبرة: ﴿**وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٦٤) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٥) فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ**﴾ (الأعراف: ١٦٤-١٦٦)، إذن فقد أنجى الله تعالى الذين ينهون عن السوء فقط، أما البقية فقد عذبهم كلهم ـ هذه سنته ـ في كل أمة حق عليها العذاب، فإن لم يكن في الأمة من ينهى عن السوء والفساد، فلا نجاة لأحد منها: ﴿**فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ**﴾ (هود: ١١٦).

وفي حديث جرير الذي رواه أبو داود: «**ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدرون على أن يغيروا عليه فلا يغيروا، إلا أصابهم الله بعذاب من قبل أن يموتوا**»[2].

---

(١) «الموطأ» (جـ ١) ـ (ص٩٩١).

(٢) رواه أبو داود.

إن وجود المصلحين في الأمة هو صمام الأمان لها، وسبب نجاتها من الهلاك العام، فإن فقد هذا الصنف من الناس، فإن الأمة ـ وإن كان فيها صالحون ـ يحل عليها عذاب الله كلها، صالحها وفاسدها، لأن الفئة الصالحة سكتت عن إنكار الخبث، وعطلت شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فاستحقت أن تشملها العقوبة.

وروى أبو داود والترمذي عن أبي بكر رضي الله عنه: قال: «**أيها الناس، إنكم تقرءون هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾** (المائدة: ١٠٥)، **وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الناس إذا رأوا الظالم، فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بالعقاب منه**»، وقد روي مرفوعًا كما روي موقوفًا على أبي بكر، لكن له حكم المرفوع لأنه مما لا يقال بالرأي، وروى حذيفة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا منه، ثم تدعونه فلا يستجاب له**»[(١)].

يهز القلوب الحية، ويدفع أصحابها إلى أن يكونوا من أولي البقية الذين ينهون عن الفساد في الأرض، لتكون سفينة المجتمع محمية من الغرق الذي يهددها عندما يترك السفهاء يخرقون فيها، كما روى النعمان بن بشير عن النبي ﷺ: «**مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها، وأصاب بعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنَّا خرقنا في نصيبنا خرقًا، ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا**»[(٢)].

---

(١) رواه الترمذي (٢١٦٩)، وأحمد في «المسند» (جـ ٥) ـ (ص٣٨٨)، وحسنه الألباني في «صحيح الترمذي رقم (١٧٦٢).

(٢) رواه البخاري (٢٣٦١).

فالمجتمع تمامًا كأصحاب سفينة هؤلاء، فإن الذين في أعلى السفينة إن تركوا الذين في أسفلها ليخرقوا في نصيبهم خرقًا، وقالوا: هذه حرية شخصية لهم، فليفعلوا ما شاءوا، فإن النتيجة غرق السفينة وهلاك الجميع، وإن يأخذ الذين في الأعلى على أيدي الذين في الأسفل، وقالوا لهم: ليس الإضرار بالملك العام من الحرية الشخصية، فالنتيجة نجاة الجميع، وهكذا حال المجتمع، فإن أهل الفساد الواقعين في حدود الله يخرقون بمعاول انحرافهم في سفينة المجتمع، فإن أخذ المصلحون على أيديهم ومنعوهم من الإضرار بالمجتمع نجا الجميع، وإن تركوهم في غيهم وتخاذلوا عن الإنكار عليهم، هلكوا قاطبة.

وقبل أن أترك الحديث عن هذه العقوبة أود أن أنبه إلى أمر لا يكاد ينقضي العجب منه، وهو أن بعض الناس يستغربون مثل هذا الكلام، يستغربون من قول الناصحين: إن المصلحين هم حماة سفينة المجتمع من الغرق، بل قد يستغربون من قول الناصحين: إن ما أصابنا وأصاب غيرنا من الأحداث الأخيرة المؤلمة، إنما هو بسبب الذنوب والمعاصي، يستغربون ذلك ويعزو بعضهم ما حدث إلى الأسباب المادية، ويقولون: كيف تكون المعاصي هي سبب ما حدث، والكفار مع كفرهم يعيشون في نعيم وسعادة عيش، وتمكين في الأرض؟!

هكذا يقولون ويظنون متناسين أو جاهلين سنن الله الثابتة والنصوص الصريحة الواضحة والوقائع التاريخية السالفة والخالفة، وهذا منطق الذين لا تتعدى نظرتهم الحياة الدنيا، ومنطق السطحيين الذين ينظرون إلى رقعة محدودة من المكان، في حيز محدود من الزمان، ومنطق الماديين الذين ينكرون وحي الله - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٦) أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ (٩٧) أَوَ

أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَ لَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ﴾ (الأعراف: ٩٦-١٠٠)، ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ (الجن: ١٦-١٧)، ﴿وَلَوْلا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (الزخرف: ٣٣-٣٥)[1].

وهكذا يتبين لكل ذي عينين أن الذنوب والمعاصي واللامبالاة بها من أخطر الأمور التي تهلك الأمم والشعوب، وإن كان بعض العصاة يظهر عليهم السعادة والنعمة في الظاهر، إلا أن هذا من حكمة الله تعالى، حيث أنه يستدرجهم، وصدق الله تعالى إنا يقول: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ﴾ (القلم: ٤٤).

يقول أبو حامد الغزالي ـ رحمه الله ـ: إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهم الذي ابتعث له النبيين أجمعين، ولو طُوى بساطه وأُهمل عمله لتعطلت النبوة، واضمحلت الديانة، وعمت الفترة وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة واستشرى الفساد، واتسع الخرق، وخربت البلاد، وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد، وقد كان الذي خفنا أن يكون، فإنا لله وإنا إليه راجعون، إذ قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه، وانمحق بالكلية حقيقته ورسمه فاستولت على القلوب مداهنة الخلق، وانمحت عنها مراقبة الخالق، واسترسل الناس في اتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم، وعزَّ على بساط الأرض مؤمن صادق لا تأخذه في الله لومة لائم، فمن

(١) «حتى لا تغرق السفينة» (ص٣٢/ ٣٧).

سعى في تلافي هذه الفترة وسد هذه الثلمة إما متكفلاً بعملها، أو متقلداً لتنفيذها مجدداً لهذه السنة الداثرة، ناهضاً بأعبائها ومتشمراً في إحيائها، كان مستأثراً من بين الخلق، بإحياء سنة أفضى الزمان إلى إماتتها، وستبدأ بقربة تتضاءل درجات القرب دونها»[(١)].

ثالثًا - عدم إجابة الدعوة: ومن آثار اللامبالاة بتلك الفريضة «عدم استجابة الدعاء»، الإنسان يلجأ إلى الله وحده عندما يمسه الضر، ويدعوه سبحانه أن يكشف عنه السوء، حتى المشرك يفعل ذلك: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ (النحل: ٥٣)، ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ (الإسراء: ٦٧)، والمسلمون التاركون لشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عندما ينزل بهم العقاب يتجهون إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ - يدعونه ولكنه لا يستجيب لهم، كما جاء في حديث حذيفة الذي سبق ذكره أن النبي ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده، لتأمرن بالمعروف ولتنهونَّ عن المنكر، أو ليبعثن الله عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم**»[(٢)].

بالله أوَ حقًا يدعو الناس فلا يستجيب الله لهم؟، الله الذي يقول: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الأعراف: ١٥٦)، الله الذي يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (البقرة: ١٨٦)، هل يمكن أن يحدث ذلك؟!، صدق الله، وصدق رسوله، وما يمكن أن يكون ذلك حقًا، وإنه لحق ترتجف له النفس ويقشعر الوجدان رعبًا، وماذا يبقى للناس إذاً؟، وما يبقى لهم إذا أوصدت من دونهم أبواب الرحمة، ولمن يلجأون في هذا الكون العريض كله.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) سبق تخريجه.

وقد أوصد البـاب الأكبر الذي توصد بعده جمـيع الأبواب، ويبقى الإنسان في العراء الكامل، الذي لا يستـره شيء ولا يحميه من لفحة الهـاجرة، وقسوة الزمهرير، ألا إنه لَلْهـول البشع الذي يتحامى الخيـال ذاته أن يتخيله، لأنه أفظع من أن يطيقه الخيال، فهل كـتب الله ذلك الهول البشع على عباده المسلمين الذين يدعونه ويسألونه ويستنصرونه؟.

نعم . . حين يكفـون عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنـكر، ولو بأضعف الإيمان . اهـ[1].

أجل لقد أوصدت الأبواب فـها هي الأمة تدعو ولا يستجاب لـها، فها هم المسلمون يذبحون في فلسطين الجريحة، ويشردون في العراق العريقة، والمسلمون يجأرون في مـساجدهم ليل نهـار، وما يزداد العدو إلا قسـوة وظلمًا!!، أتدري لماذا يا عبـد الله؟، لأن هؤلاء الذين يجأرون لم يبالوا بالأمـر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فمـا زال الولاء والبراء لغير الله ورسـوله، وما زال التبرج والسـفور منتشرًا، وما زالت الرذيلة لها في بيوتـنا مكان وسوقًا قائمة، ولم تجد من يقول لها ولأتباعها: اتقوا الله ولا تخرقوا سفينة الأمة!!.

فأنت ـ يا من لا تبالي بتلك القضيـة ـ سبب من أسباب تسلط الأعداء على الأمة، وسبب من أسباب تأخر النصر، فهل بعد ذلك العقاب عقاب؟.

رابعًا ـ أن الذي لا يأمر بالمـعروف ولا ينهى عن المنكر شريـك له في إثمه، وشريك له في الجزاء وفي العقاب يوم القيامة.

---

(١) «حتى لا تغرق السفينة» (ص٤٣-٤٤).

قال رسول الله ﷺ: «إذا عملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فكرهها كمن غاب عنها، ومن غاب عنها، فرضيها كان كمن شهدها»[(١)].

خامسًا ـ أنه سبب من أسباب اللعنة والطرد من رحمة الله تعالى، ولقد لعن الله كفار بني إسرائيل ولعنهم أنبياؤهم لتركهم هذه الفريضة، فقال سبحانه: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (المائدة: ٧٨-٧٩).

يقول القرطبي ـ رحمه الله ـ: قوله تعاليك ﴿كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوه﴾، أي: لا ينهى بعضهم بعضًا، ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾، ذمٌّ لتركهم النهي، وكذا من بعدهم يذم من فعل فعلهم.

أخرج أبو داود عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل، كان الرجل أول ما يلقى الرجل، فيقول له: يا هذا اتق الله ودع ما تصنع، فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه، وقعيده، فلما فعلوا ذلك، ضرب الله تعالى قلوب بعضهم ببعض، ثم قال: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾، إلي قوله: ﴿فَاسِقُونَ﴾»[(٢)].

الثانية ـ قال ابن عطية: والإجماع منعقد على أن النهي عن المنكر فرض لمن أطاقه، وأمن الضرر على نفسه وعلى المسلمين، فإن خاف فينكر بقلبه، ويهجر

---

(١) رواه أبو داود، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٧٠٢).

(٢) رواه أبو داود والترمذي، وقال: حسن، والحديث مختلف في إسناده، فمرة موصول ومرة مرسل، والمرسل أرجح، فالحديث ضعيف، وقال الألباني في «المشكاة» (٥٤١٨): ضعيف.

ذا المنكر، ولا يخالطه، وقال حُذاق أهل العلم: وليس من شرط الناهي أن يكون سليمًا عن معصيته، بل ينهى العصاة بعضهم بعضًا، وقال بعض الأصوليين: فرض على الذين يتعاطون الكئوس أن ينهى بعضهم بعضًا، واستدلوا بهذه الآية، لأن قوله: ﴿كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾، يقتضي اشتراكهم في الفعل وذمهم على ترك التناهي، وفي الآية: دليل على النهي عن مجالسة المجرمين، وأمر بتركهم، وهجرانهم وأكد ذلك بقوله في الإنكار على اليهود: ﴿تَرَىٰ كَثِيراً مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (المائدة: ٨٠)[1].

(١) «تفسير القرطبي» (جـ ٤) ـ (ص٢٢٥١١).

الفصل الثالث

ضرورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وهيا لنعيش مع أئمة الإسلام، وهم يوضحون لنا ضرورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنه أمر لابد للأمة منه بل لا حياة لها، ولا بقاء لعزتها إلا إذا اعتصمت بهذه الفريضة وأحيتها فيما بينها.

يقول ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في بيان الحاجة إلى القيام بهذه الفريضة: وكل بشر على وجه الأرض، فلابد له من أمر ونهي، ولابد أن يأمر وينهى حتى لو أنه وحده لكان يأمر نفسه وينهاها، إما بمعروف أو بمنكر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ (يوسف:٣)، فإن الأمر هو طلب الفعل وإرادته، والنهي طلب الترك وإرادته، ولابد لكل حي من إرادة وطلب في نفسه يقتضي بهما فعل نفسه، ويقتضي بهما فعل غيره، إذا أمكن ذلك، فإن الإنسان حي يتحرك بإرادته، وبنو آدم لا يعيشون إلا باجتماع بعضهم مع بعض، وإذا اجتمع اثنان، فصاعدًا، فلا بد أن يكون بينهما ائتمار بأمر، وتناهٍ عن أمر، وإذا كان الأمر والنهي من لوازم وجود بني آدم، فمن لم يأمر بالمعروف الذي أمر الله به رسوله، وينه عن المنكر الذي نهى الله عنه رسوله، وإلا فلابد أن يأمر وينهى ويؤمر ويُنْهى إما بما يضاد ذلك، وإما بما يشترك فيه الحق الذي أنزله الله بالباطل الذي لم ينزله. اهـ.

ولزيادة توضيح ما ذكره ابن تيمية نذكر الأخ القارئ بما تقدم من وجود أعداء كثيرين لابن آدم من الشياطين والكفار والمنافقين، وإن لهؤلاء الأعداء أعوانًا في الإنسان نفسه من الأهواء والشهوات، ولتعلم أن هؤلاء الأعداء لا يفترون عن محاربة المؤمن، ومحاولة إخراجه عن طاعة ربه، وأهل الإيمان في مواجهة هؤلاء الأعداء أصناف:

* فمنهم: من يستجيب لهم في الكفر والارتداد عن طريق الإيمان بالكلية ـ والعياذ بالله تعالى ـ ومنهم من يستجيب لهم في معصية الله في بعض الأمور، وإن لم يستجب لهم في الخروج عن دين الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ، وهؤلاء هم أهل المعاصي والمنكرات، ومنهم من لا يستجيب للأعداء في الكفر، ولا في المعصية، وهؤلاء هم المؤمنون الصادقون، وإذا كان أعداء المؤمنين دائبين في حربه وصده عن سبيل الله، فإن أعظم الخطر أن لا يجد هؤلاء الأعداء من يقف أمامهم من المؤمنين الصادقين، لأن حصيلة هذا الوضع ستكون نقصانًا مستمرًا في جانب أهل الإيمان، وزيادة مستمرة في جانب أهل المعاصي، حتى يصبح الصادقون من المؤمنين أنفسهم على خطر عظيم، غير أن واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والوقوف أمام المستجيبين للشياطين من الظالمين والفاسقين، وإعادتهم إلى حظيرة الطاعة لله بوسائل اللين والشدة.

كل ذلك يوقف من المد الشيطاني، ويقلل من معصية الله وأهلها في مجتمع الإيمان، وينجي هذا المجتمع من غضب الله والفتن العامة الطامة، التي لا ينجو منها إلا الذين ينهون عن السوء، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ولذلك قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (الأنفال: ٢٥)، وفي المقابل يقول الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ (الأعراف: ١٦٥)، فمن لا ينهى عن السوء لا ينجيه مجرد إيمانه وقيامه ببعض الطاعات عند حلول الفتن والمصائب، ولكن الذي ينجيه هو أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، بعد إيمانه وطاعته لربه.

وقد ذكر الإمام أحمد أثرًا فيه أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أوحى إلى ملك من الملائكة أن اخسف بقرية كذا وكذا، فقال: يا رب، كيف وفيهم فلان العابد؟، فقال: به فابدأ، فإنه لم يتمعَّر وجهه في يوم قط!! وذكر أبو بعمرو في كتاب

(التمهيد): أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أوحى إلى نبي من أنبيائه أن قل لفلان الزاهد: **«أما زهدك في الدنيا فقد تعجلت به الراحة، وأما انقطاعك إلى فقد اكتسبت به العز، ولكن ماذا عملت فيما لي عليك»**، فقال: يا رب، وأي شيء لك علي؟، قال: **«هل واليت فيَّ وليًا، أو عاديت فيَّ عدوًا؟»**.

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ في بيان خطر من يعطل فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أجل التفرغ لأنواع العبادات من الذكر والقراءة والصيام: وقد غرَّ إبليس أكثر الخلق، بأن حسن لهم القيام بنوع من الذكر والقراءة والصلاة والصيام، والزهد في الدنيا والانقطاع، وعطلوا هذه العبوديات، فلم يحدثوا قلوبهم بالقيام بها، وهؤلاء عند ورثة الأنبياء من أقل الناس دينًا، فإن الدين هو القيام لله بما أمر به، فتارك حقوق الله التي تجب عليه أسوأ حالاً عند الله ورسوله من مرتكب المعاصي، ومن له خبرة بما بعث الله به رسوله ﷺ، وبما كان عليه هو وأصحابه رأى أن أكثر من يشار إليهم بالدين هم أقل الناس ـ والله المستعان ـ.

وأي دين وأي خير فيمن يرى محارم الله تنتهك وحدوده تضاع ودينه يترك وسنة رسول الله يرغب عنها، وهو بارد القلب، ساكت اللسان، شيطانه أخرس، كما أن المتكلم بالباطل شيطان ناطق، وهل بلية الدين إلا هؤلاء الذين إذا سلمت لهم مآكلهم ورياستهم، فلا مبالاة بما يجري على الدين؟، وخيارهم المتحزن المتلمظ، ولو نوزع في بعض ما فيه غضاضة عليه في جاهه أو ماله بذل وتبذل وجد واجتهد، واستعمل مراتب الإنكار الثلاث بحسب وسعه وهؤلاء مع سقوطهم من عين الله، ومقت الله لهم قد بلوا في الدنيا بأعظم بلية تكون وهم لا يشعرون، وهو موت القلوب، فإن القلب كلما كانت حياته أَتَمَّ كان غضبه لله ورسوله أقوى، وانتصاره للدين أكمل[1].

---

(١) «أعلام الموقعين» (جـ ٢) ـ (١٧٧).

فهذا النوع من الجهاد تقوية لجبهة أهل الإيمان الداخلية والتنقية لها من كل فاسد مفسد، وتضييق على أهل النفاق وقصم لظهورهم، يروي أبو بكر الخلال عن سفيان أنه قال: إذا أمرت بالمعروف شددت ظهر المؤمن، وإذا نهيت عن المنكر راغمت أنف المنافق، وأما العزوف عن هذا الجهاد فيكون فيه تقوية للمنافقين وإعلاء لشأنهم، وإمداد لشرهم، وفسادهم.

روى الخلال عن أحمد بن حنبل، أنه قال: يأتي على الإنسان زمان يكون المؤمن فيه مثل الجيفة، ويكون المنافق يشار إليه بالأصابع، قيل: وكيف يشار إلى المنافق بالأصابع؟، فقال: صيَّروا أمر الله فضولاً، المؤمن إذا رأى أمرًا بالمعروف أو نهيًا عن المنكر، لم يصبر حتى يأمر وينهى، فيقولون: هذا فضول، والمنافق كل شيء يراه بيده على فمه[(١)]، فيقولون: نعم الرجل، ليس بينه وبين الفضول عمل[(٢)].

وعندما يغدو حال المجتمع الإسلامي، كما وصفه ابن حنبل ـ رحمه الله تعالى ـ تتبدل القيم وتنتكس النظرة الإسلامية إلى الأمور، فيصير الآمر بالمعروف فضوليًا، والمنافق مهذبًا ومؤدبًا، فيؤول الأمر إلى انتشار المعاصي، كما قال بعض العلماء (المعصية بريد الكفر) فإذا كثرت ولم يجد العصاة مَنْ يحدُّ من فسوقهم عن أمر الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ، كثر بالتالي المرتدون عن دين الله، والداخلون في ولاية الشيطان والكفار، إلى أن ترجع الحال إلى ما كانت عليه في الجاهلية الأولى، فيعطل شرع الله، ويتخذ ظهريًا، ويهجر كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وتتحكم الأهواء في العباد، ويكون ذلك كله ثمرة التقاعس عن فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

(١) أي: أغلق فمه، فلم ينه عن منكر، ولم يأمر بمعروف.

(٢) كتاب «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» (ص١١٢).

يقول الإمام النووي ـ رحمه الله ـ في بيان قدر هذه الفريضة وخطورة هذا النوع من الجهاد ووجوبه على المؤمنين: واعلم أن هذا الباب ـ أعني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد ضيع أكثره من أزمان متطاولة، ولم يبق منه هذه الأزمان إلا رسوم قليلة جدًا، وهو باب عظيم به قوام الأمر وملاكه، وإذا كثر الخبث عم العقاب الصالح والطالح، وإذا لم يأخذوا على الظالم أوشك أن يعمهم الله بعقابه، فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم، فينبغي لطالب الآخرة والساعي في تحصيل رضا الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ أن يعتني بهذا الباب، فإن نفعه عظيم، ولاسيم وقد ذهب معظمه، ويخلص نيته، ولا يهابن من ينكر عليه لارتفاع مرتبته، فإن الله تعالى قال: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ﴾ (الحج: ٤٠)، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (العنكبوت: ٦٩)، وقال تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ (العنكبوت: ٢-٣).

واعلم أن الأجر على قدر النصب، ولا يتاركُه أيضًا لصداقته ومودته ومداهنته، وطلب الوجاهة عنده، ودوام المنزلة لديه، فإن صداقته ومودته توجب له حرمة وحقًا أن ينصحه ويهديه إلى مصالح آخرته، وينقذه من مضارها، وصديق الإنسان ومحبه من سعى في عمارة آخرته، وإن أدى ذلك إلى نقص في دنياه، وعدوه من يسعى في ذهاب أو نقص آخرته، وإن حصل بسبب ذلك صورة نفع في دنياه، وإنما كان إبليس عدوًا لهذا، وكانت الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ أولياء المؤمنين لسعيهم في مصالح آخرتهم وهدايتهم إليها[1].

---

(١) «شرح النووي على صحيح مسلم» (جـ ٢) ـ (ص٢٤).

ويقول ابن العربي المالكي: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أصل في الدين، وعمدة من عمد المسلمين، وخلافة رب العالمين، والمقصود الأكبر من بعث النبيين، وهو فرض على جميع الناس مثنى وفرادى بشرط القدرة عليه[١].

ويقول ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: ويجب على أولي الأمر، وهم علماء كل طائفة وأمراؤها ومشايخها أن يقوموا على عامتهم، ويأمروهم بالمعروف وينهوهم عن المنكر، فيأمروهم بما أمر الله ورسوله، مثل شرائع الإسلام، وهي الصلوات الخمس في مواقيتها، وكذلك الصدقات المفروضة والصوم المشروع وحج البيت الحرام، ومثل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره، ومثل الإحسان وهو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، ومثل ما أمر الله به ورسله من الأمور الباطنة والظاهرة، ومثل إخلاص الدين لله، والتوكل على الله، وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، والرجاء لرحمة الله، والخشية من عذابه، والصبر لحكم الله، والتسليم لأمر الله، ومثل صدق الحديث والوفاء بالعهود، وأداء الأمانات إلى أهلها، وبر الوالدين وصلة الأرحام . .[٢].

(١) «الجهاد . . ميادينه وأساليبه» (١٣٨-١٤٣).

(٢) «الاستقامة» (٢٠٩١٢) ـ (٢١٠).

الفصل الرابع

فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

واعلم ـ علمني الله وإياك ـ أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هو الفريضة التي فضل الله بها هذه الأمة على سائر الأمم، وجعلها خير أمة أخرجت للناس، يقول ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ**﴾ (آل عمران: ١١٠)، فبيَّن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن هذه الأمة خير الأمم للناس، فهم أنفعهم وأعظمهم إحسانًا إليهم، لأن كل أمورهم خير ونفع للناس، بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وأقاموا ذلك الجهاد في سبيل الله بأنفسهم، وأموالهم، وهذا كمال النفع للخلق؛ كما أن الأمر بالمعروف هو من صفات المؤمنين، يقول ـ عزَّ وجَلَّ ـ: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ**﴾ (التوبة: ٧١).

وأمر الله تعالى المسلمين بأن تكون منهم أمة يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فقال تعالى: ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ (آل عمران: ١٠٤).

قال الضحاك: هم خاصة الصحابة، كما تشمل المجاهدين والعلماء، وقال أبو جعفر الباقر: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ**﴾، ثم قال: **«الخير: اتباع القرآن وسنتي»**[(١)].

والمقصود من هذه الآية: أن تكون فرقة من هذه الأمة متوجهة لهذا الشأن، وأن يكون واجبًا على كل فرد من الأمة بحسبه، كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده،**

---

(١) رواه ابن مردويه.

فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه. وذلك أضعف الإيمان»، وفي رواية: «وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»، وعن حذيفة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «والذي نفسي بيده، لتأمرن بالمعروف ولتنهونَّ عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده، ثم لتدعُنَّهُ فلا يُسْتَجابُ لكم»[1]، ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة حسنة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٧)، فبالرسول صلى الله عليه وسلم أكمل الله الدين المتضمن للأمر بكل معروف والنهي عن كل منكر، وإحلال كل طيب، وتحريم كل خبيث، وتحريم الخبائث يندرج في معنى النهي عن المنكر، كما أن إحلال الطيبات يندرج في الأمر بالمعروف.

ولهذا كان إجماع هذه الأمة حجة، لأن الله تعالى قد أخبر أنهم يأمرون بكل معروف، وينهون عن كل منكر، فلو اتفقوا على إباحة محرم، أو إسقاط واجب، أو تحريم حلال، أو إخبار عن الله تعالى أو خلقه بباطل، كانوا متصفين بالأمر بالمنكر، والنهي عن المعروف.

وقد تأسى الصحابة بالرسول صلى الله عليه وسلم، واقتدوا به، فأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وتناصحوا فيما بينهم ووفوا بما بايعوا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، تلك البيعة التي حدث عنها الوليد عبادة بن الصامت، فقال: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحًا عندكم من الله فيه برهان، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم»[2].

---

(١) رواه الترمذي (٢١٦٩)، وأحمد (٣٨٨)، وحسنه الألباني في «صحيح الترمذي» رقم (١٧٦٢).

(٢) رواه البخاري (٧٠٥٥، ٧٠٥٦).

وإذا كان المجتمع الإسلامي قد قام ومن قواعده الهامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنه ينبغي التنبيه إلى أنه كان مجتمعًا نقيًا سليم الفطرة، ولذلك كان ما تراه عقول أفراده من منكر حقًا، وما يرونه معروفًا هو معروف في حقيقته، أما إذا فسدت الضمائر في المجتمع واختلت الأمور، فإن الحكم على المعروف والمنكر قد يغدو مقلوبًا، وغير سديد، والمعروف هو ما تتفق العقول على عدم إنكاره، أما المنكر فهو كل جريمة اجتماعية، أي: كل جريمة تتجاوز آثارها الشخص الذي ارتكبها إلى المجتمع الذي يعيش فيه، كالزنا والقتل والسرقة والغيبة والنميمة والكذب والوشاية وشهادة الزور، وإذا اقترنت الفاحشة بالمنكر، كما في قوله تعالى: ﴿**لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ**﴾ (النور: ٢١)، كأن القصد من الفحشاء أو الفاحشة هو جريمة الزنا وحدها، أما المنكر فيبقى عامًا يشمل الجريمتين الأخيرتين القتل والسرقة، كما يشمل المنكر كل ما تستنكره العقول السليمة، وتأباه النفوس الزكية والفطرة النقية[1].

(١) «الأخلاق في الإسلام» (ص٢٠٠-٢٠٣).

obeikandl.com

الفصل الخامس

صور مشرقة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

* وهيا لنقف مع تلك الصور المشرقة التي نالت الخيرية بأمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر، أقدمها إلى هؤلاء الذين أصابتهم عدوى اللامبالاة لعلهم إذا وقفوا عليها حركت فيهم الغيرة على دين الله تعالى، فأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر:

المشهد الأول:

- لأبي الدرداء رضي الله عنه: مرَّ أبو الدرداء برجل قد أصاب ذنبًا، وكانوا يسبونه، فقال لهم: «**أرأيتم لو وجدتموه في قليب ألم تكونوا مستخرجيه؟**»، قالوا: بلى، قال: «**فلا تسبوا أخاكم واحمدوا الله الذي عافاكم**»، قالوا: أفلا نبغضه؟، قال: «**إنما أبغض عمله، فإذا تركه فهو أخي**».

في هذا المشهد رأينا الحكمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فينبغي للآمر بالمعروف أن يلطف في قوله، وفي أمره، وفي نهيه، وصدق الله تعالى: ﴿**فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا**﴾ (طه: ٤٤).

المشهد الثاني:

قال محمد بن زكريا الغلابي: شهدت عبد الله بن محمد بن عائشة ليلة، وقد خرج من المسجد بعد المغرب يريد منزله، وإذا في طريقه غلام من قريش سكران، وقد قبض على امرأة فجذبها فاستغاثت، فاجتمع الناس يضربونه فنظر إليه ابن عائشة فعرفه، فقال للناس: «**تنحوا عن ابن أخي**»، ثم قال: «**إليَّ ابن أخي**»، فاستحى الغلام، فجاء إليه، فضمه إليه، ثم قال له: «**امضِ معي**»، فمضى معه، حتى صار إلى منزله، فأدخله الدار، فقال لبعض غلمانه: «**بَيِّته**

obeikandl.com

عندك، فإذا أفاق من سكره، فأعلمه بما كان منه، ولا تتركه ينصرف حتى تأتيني به»، فلما أفاق ذكر له ما جرى فاستحيا منه، وبكى وهم بالانصراف، فقال الغلام: قد أمر أن تأتيه، فأدخله عليه، فقال له ابن عائشة: **«أما استحييت لشرفك؟ أما ترى من ولدك؟، فاتق الله وانزع مما أنت فيه»**، فبكى الغلام منكسًا رأسه، ثم رفع رأسه وقال: عاهدت الله عهدًا يسألني عنه يوم القيامة أن لا أعود للشرب، ولا لشيء مما كنت فيه، وأنا تائب، فقال ابن عائشة: **«ادن مني»**، فقبل رأسه، وقال: **«أحسنت يا بني»**، فكان الغلام بعد ذلك يلزمه ويكتب عنه الحديث، وكان ذلك ببركة الرفق[1].

المشهد الثالث:

من الحرص على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مشهد رجل في سياق الموت، ولكنه لم يشغله جُرحه الغائر عن فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

يقول ابن الجوزي: فاحتمل إلى بيته فانطلقنا معه، وكأن الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ، فقائل يقول: لا بأس، وقائل يقول: أخاف عليه، فأتي بنبيذ فشربه، فخرج من جوفه، ثم أتي بلبن فشربه، فخرج من جرحه، فعرفوا أنه ميت، فدخلنا عليه، وجاء الناس يثنون عليه، وجاء رجل شاب، فقال: «أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك، من صحبة رسول الله ﷺ، وقدم في الإسلام ما قد علمت، ثم وليت فعدلت، ثم شهادة»، قال: «وددت أن ذلك كان كفافًا لا لي، ولا علي، فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض»، قال: «ردوا علي الغلام»، قال: يا ابن أخي، ارفع ثوبك، فإنه أنقى لثوبك وأتقى لربك».

---

(١) «الدعوة قواعد وأصول» (١٤٢).

تأمل ـ يا من لا تبالي ـ عمر في سياق الموت، ولم يشغله ما هو فيه من ألم، ومن سكرات الموت، أن يأمر ذلك الفتى؛ إنهم بايعوا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المشهد الرابع:

إنه الحرص على تبليغ هذه الرسالة، إنه الإيمان بثقل المسئولية الملقاة على كل مسلم نحو فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، رغم الأذى، رغم الأسى، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (العصر: ٢).

يقول محمد الحريف في رسالة «هل طرقت الباب» تحت عنوان «أما زوجها فقد جاوز الأربعين»: مدمن خمر يسكر فيضربها هي وبناتها ويطردهم . . جيرانهم يشفقون عليهم، ويتوسلون إليه ليفتح لهم، يسهر ليلة سكرًا، وتسهر هي بكاءًا ودعاءًا، كان سيء الطباع . . سكن بجانبهم شاب صالح، فجاء لزيارة هذا السكِّير، فخرج إليه يترنح، فإذا شاب ملتحٍ وجهه يشع نورًا، فصاح به: «ماذا تريد؟»، قال: «جئتك زائرًا»، فصرخ: «لعنة الله عليك يا كلب . . هذا وقت زيارة»، وبصق في وجهه . . مسح صاحبنا البصاق، وقال: «عفوًا آتيك في وقت آخر، مضى الشاب كسابقتها، حتى جاء مرة، فخرج الرجل مخمورًا، وقال: «ألم أطردك، لماذا تصر على المجيء؟»، فقال: «أحبك أريد الجلوس معك»، فخجل وقال: «أنا سكران»، قال: «لا بأس، أجلس معك وأنت سكران»، دخل الشاب وتكلم عن عظمة الله، والجنة والنار، وبشره أن الله يحب التوَّابين، كان الرجل يدفع عبراته ثم ودعه الشاب ومضى، ثم جاءه فوجده سكران فحدثه أيضًا بالجنة والنار والشوق إليها، وأهدى إليه زجاجة عطر فاخر ومضى، حاول أن يراه في المسجد، فلم يأت، فعاد إليه فوجده سكران،

فحدثه، فأخذ الرجل يبكي ويقول: «لن يغفر الله لي أبدًا . . أنا حيوان . . سكير لن يقبلني الله . . أطرد بناتي وأهين زوجتي وأفضح نفسي»، وجعل ينتحب، فانتهز الشاب الفرصة، وقال: «أنا ذاهب للعمرة مع مشايخ فرافقنا»، فقال: «أنا مدمن»، قال: «لا عليك هم يحبونك مثلي»، ثم أحضر الشاب ملابس إحرام من سيارته، وقال: «اغتسل والبس إحرامك»، فأخذها ودخل يغتسل والشباب يستعجله حتى لا يعود في كلامه، خرج يحمل حقيبته، ولم ينس أن يدس فيها خمرًا، انطلقت السيارة بالسكير والشاب، واثنين من الصالحين، تحدثوا عن التوبة، والرجل لا يحفظ الفاتحة، فعلموه، اقتربوا من مكة ليلاً، فإذا الرجل تفوح منه رائحة الخمر، فتوقفوا لينام، فقال السكير: «أنا أقود السيارة، وأنتم ناموا»، فردوه بلطف، ونزلوا وأعدوا فراشه، وهو ينظر إليهم حتى نام، فاستيقظ فجأة، فإذا هم يصلون، أخذ يتساءل: يقومون ويبكون وأنا نائم سكران، أذن الفجر فأيقظوه، وصلوا ثم أحضروا الإفطار، وكانوا يخدمونه كأنه أميرهم، ثم انطلقوا، بدا قلبه يرق اشتياقًا للبيت الحرام، دخلوا الحرم، فبدأ ينتفض، سارع الخطى . . أقبل إلى الكعبة . . وقف يبكي: «يارب . . ارحمني . . إن طردتني فلمن ألتجأ، لا تردني خائبًا» . . خافوا عليه . . الأرض تهتز من بكائه . . مضت خمسة أيام بصلاة ودعاء، وفي طريق عودتهم فتح حقيبته وسكب الخمر، وهو يبكي . . وصل بيته . . بكت زوجته وبناته . . رجل في الأربعين . . ولد من جديد . . استقام على الصلاة، لحيته خالطها البياض، ثم أصبح مؤذنًا ومع القراءة بين الأذان والإقامة حفظ القرآن. اهـ.

هكذا تكون الدعوة إلى الله تعالى، وإذا كانت تلك المشاهد السابقة مع آحاد الرعية، فهيا لنرى صورًا مشرقة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمام الطغاة

الجبارين مع الحكام والأمـراء، لنرى في وضوح حقيقـة قول النبي ﷺ حيث قال عندما سُئل: «ما أفضل الجهاد؟»، قال: «كلمة عدل عند سلطان جائر»(١).

وعن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله»(٢).

المشهد الأول:

بين أبي جـعفـر المنصور وابن طاووس ـ رحـمه الله ـ: رُوي أن أبا جـعفـر المنصور اسـتدعى ابن طاووس أحد علماء عـصره، ومعه مـالك بن أنس، فلما دخلا عليه أطرق ساعة، ثم التفت إلى ابن طاووس، فقال له: حدثني عن أبيك طاووس بن كيـسان التابعي، فـقال: حدثني أبي أن رسـول الله ﷺ قال: «إن أشد الناس عذابًا يوم القيامة رجل أشركه في حكمه. فأدخل عليه الجور في عدله»، فأمـسك ساعة، قـال مالك: «فضـممت ثيابـي مخافـة أن يملأني من دمه»، ثم التـفت إليه أبو جـعفـر، فقـال: «عظني يا ابن طاووس»، قـال: «نعم يا أميـر المؤمنين، إن الله تعالى قال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ (الفجر:٦-١٤)، قال مالك: «فضممت ثيابي مخافة أن يملأني من دمه، فأمـسك، ثم قال: «ناولني الدواة»، فـأمسك سـاعة حتى اسـود بيننا وبينه، ثم قـال: «يا ابن طاووس ناولني هذه الدواة فـأمسك عنه»، فـقال: «مـا يمنعك أن تناولنيها؟»، فقال: «أخـشى أن تكتب بها معصية، فأكون شـريكك فيها»، فلما

---

(١) رواه الترمذي (٢١٧٤)، وأبو داود (٤٣٤٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع».

(٢) رواه الترمذي والحاكم، وقال: صحيح الإسناد.

سمع ذلك قال: «قوما عني»، قال ابن طاووس: «ذلك ما كنا نبغي منذ اليوم»، قال مالك: «فمازلت أعرف لابن طاووس فضله»[1].

وهكذا تجلى الإيمان وتجسد في ذلك الموقف الذي يفيض قوة وشجاعة، نابعة من قوله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (المائدة: ٥٤).

المشهد الثاني:

وهذا مشهد آخر مع الإمام الأوزاعي ـ رحمه الله ـ، ومع ذلك الطاغية الذي سفك دماء الأبرياء، وهتك أعراض المؤمنات، وسلب ديارهم وأموالهم، إنه عبد الله بن علي العباسي، لما قدم عبد الله بن علي العباسي الشام، وقتل من قتل من بني أمية بعد ذهاب دولتهم، استدعى الإمام عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، وهو في جنده وحشمه، وقال له: «ما تقول في دماء بني أمية؟»، قال الأوزاعي: «قد كان بينك وبينهم عهود، وكان ينبغي أن تفي بها»، قال الأمير: «ويحك جعلني وإياهم لا عهد بيننا»، قال الأوزاعي: «فأجهشت نفسي، وكرهت القتل، فتذكرت مقامي بين يدي الله تعالى، فلفظتها وقلت: دماؤهم حرام عليك، فغضب عبد الله بن علي، وانتفخت عيناه وأوداجه، فقال: «ويحك ولِمَ؟»، قلت: قال رسول الله ﷺ: «**لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: ثيب زان، ونفس بنفس، وتارك لدينه**»، قال: «ويحك، أليس الأمر لنا ديانة؟»، قلت: «كيف ذلك؟»، قال: «أوليس كان رسول الله ﷺ أوصى لعلي؟ قلت: لو أوصى لعلي ما حكم الحكمين؟»، فسكت وقد اجتمع

---

(١) «الجهاد.. ميادينه وأساليبه» (ص١٨٤)

غضبه، فجعلت أتوقع رأسي يسقط بين يديه، فأشار بيده هكذا، وأومأ أن أخرجوه، فخرجت[١].

وصدق الشافعي ـ رحمه الله ـ حيث يقول: أشد الأعمال ثلاثة: الجود من قلة، والورع في خلوة، وكلمة حق عند من يرجى ويخاف[٢].

المشهد الثالث:

بطل هذا المشهد شاب لم يتجاوز العشرين من عمره، ولكن استقر الإيمان في قلبه، إنه حطيط الزيات مع الحجاج سفَّاك الدماء، كان يقتل بالظنة، ولندع المشهد يعبر عن نفسه:

رُوي أن حطيطًا جيء به إلى الحجاج، فلما دخل عليه قال: «أنت حطيط؟»، قال: «نعم، سل عما بدا لك، فإني عاهدت الله عند المقام على ثلاث خصال: إن سُئلت لأصدقنَّ، وإن ابتليت لأصبرنَّ، وإن عوفيت لأشكرنَّ»، قال: «فما تقول فيَّ؟»، قال: «أقول: إنك من أعداء الله في الأرض، تنتهك المحارم، وتقتل بالظنة»، قال: «فما تقول في عبد الملك بن مروان؟»، قال: «أقول: إنه أعظم جرمًا منك، وإنما أنت خطيئة من خطاياه»، فقال الحجاج: «ضعوا عليه العذاب»، فانتهى له العذاب إلى أن شقق له القصب[٣]، ثم جعلوه على لحمه، وشدوه بالحبال، ثم جعلوا يمدون قصبة قصبة، حتى انتحلوا لحمه، فما سمعوه يقول شيئًا، فقيل للحجاج: «إنه في آخر رمق»، فقال: «أخرجوه فارموا به في السوق»، قال جعفر ـ وهو الراوي ـ:

---

(١) «الجهاد . . ميادينه وأساليبه» (ص١٨٢). (٢) «التبصرة» (ص٦٥٩).
(٣) القَصَب: عظام اليدين والرجلين والأصابع، «المعجم الوسيط» (جـ٢) ـ (ص٧٦٦).

«فأتيته أنا وصاحب له»، فقلنا له: «حطيط ألك حاجة؟»، قال: «شربة ماء»، فأتوه بشربة ثم مات، وكان ابن ثماني عشرة سنة ـ رحمه الله ـ[(١)].

المشهد الرابع:

وهو مشهد يصوره لنا الله في كتابه، ذلك المشهد الذي يحمل في طياته العظات، والعبر والدروس والحكم، إنه لداعية فصيح باع نفسه لله تعالى ووقف بين يدي أطغى مجرم عرفته البشرية ليدافع عن رسول بني إسرائيل، ويأمر ذلك الطاغية وتلك الحاشية بالمعروف والإيمان بما جاء به موسى عليه السلام، فهيا لنرى المشهد في أبدع أسلوب وأحلى عبارة، وأزكى إشارة لاتباع طريق النجاة، والبعد عن طريق الهلكة والشقاء.

أهل الباطل لا يناقشون الحجة بالحجة، ولا البينة بالبينة، إنما منطقهم عجيب، اسمع إليهم في قصة فرعون، ماذا يقولون: ﴿ **فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلَالٍ** ﴾ (غافر: ٢٥)، هذا قولهم، أما قول زعيمهم فرعون: ﴿ **وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ** ﴾ (غافر: ٢٦)، فهل هناك أطرف من أن يقول فرعون الضال الوثني عن موسى عليه السلام: ﴿ **إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ** ﴾، أليست هي بعينها كلمة كل طاغية مفسد؟، أليست هي بعينها كلمة الباطل الكالح في وجه الحق الجميل؟، أليست هي بعينها كلمة الخداع الخبيث، لإثارة الخواطر في وجه الإيمان الهادي؟، إنه منطق واحد يتكرر كلما التقى الحق والباطل، والإيمان والكفر، والإصلاح والطغيان على توالي الزمان واختلاف المكان، والقصة قديمة مكررة، تُفرض بين الحين والحين[(٢)].

---

(١) «الجهاد . . ميادينه وأساليبه» (ص١٨٣).

(٢) «ظلال القرآن» (جـ ٥/ ٣٠٧٨).

فهذا هو منطق الباطل: استهزاء، سخرية، مجادلة بالباطل، اعتداء حتى يصل إلى الإخراج من الأرض، ومع هذا فإننا نرى في هذا الظلام الحالك، النور الذي يحمله الداعي بين يديه، والحرص على الناس من أن يلقوا في النار، والرحمة التي ينشرها عليهم، وهو يلوذ بحمى ربه ويعوذ به من كل متكبر، لا يؤمن بيوم الحساب، ومع هذا فإنه لا يقول لهم إلا خيراً، ليت الدعاة يعون هذا الدرس ويستشعرون حرص الداعي على من يدعوه الذي نقله لنا القرآن، كما رأيت، واسمع إليه وهو يدافع عن موسى، فما سب ولا لعن، ولكنه يتسلل إلى قلوبهم بالنصيحة التي تسيل رقة ممزوجة بالتخويف والإقناع: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ (غافر: ٢٨).

وتأمل ذكاء هذا الرجل وبعد نظره، تأمل الألفاظ التي اختارها، والكلمات التي تكلم بها، والأسلوب الحكيم الذي يقنع به من يخاطبهم، إنه نوع من أنواع علم البيان الذي يسميه علماؤنا «استدراج المخاطب»، وذلك أنه لما رأى فرعون قد عزم على قتل موسى أراد الانتصار له بطريق يخفي عليهم بها أنه متعصب له، وأنه من أتباعه، فجاءهم بطريق النصح والملاطفة، فقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً﴾، ولم يذكر اسمه، بل قال: رجلاً، ليوهم أنه لا يعرفه، ثم قال: ﴿أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾، ولم يقل: رجلاً مؤمنًا بالله أو هو نبي إذ لو قال ذلك، لعلموا أنه متعصب، ولن يقبلوا قوله، ثم أتبعه بقوله: ﴿وَإِن يَكُ كَاذِبًا﴾، فقدم الكذب على الصدق موافقة لرأيهم فيه، ثم تلا بقوله: ﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا﴾، ولم يقل: هو صادق، وكذلك قال: ﴿يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾، ولم يقل: كل الذي يعدكم، ولو قال ذلك، لعلموا أنه متعصب له، وأنه يزعم نبوته، وأنه يصدقه، ثم أتبعه بكلام يفهم منه أنه ليس بمصدق له، وهو قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ

كَذَّابٌ﴾، وفيه تعريض بفرعون إذ هو في غاية الإسراف والكذب على الله، إذ ادعى الألوهية والربوبية، ثم كرر النصح مع التلطف: ﴿يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ﴾ (غافر:٢٩)، أنتم غالبون على بني إسرائيل في أرض مصر، قد قهرتموهم، وقد استعبدتموهم اليوم، ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِن جَاءَنَا﴾ (غافر:٢٩)، قال الرازي: إنما قال: ﴿يَنصُرُنَا﴾ و﴿جَاءَنَا﴾، لأنه كان يظهر لهم أنه منهم، وأن الذي ينصحهم به هو مشارك لهم فيه، أي ذكاء هذا يتحلى به هذا الداعي إلى الله، وأي بصيرة وحكمة رزقها؟!

ليت الشباب يتدبر ويفقه الأسلوب الأمثل للدعوة، إنها ليست استعراضًا للقوة، ولا تطاولاً على أحد، ولكن مسلك الحكمة الذي يوصلنا للغاية التي تنجي، فليست انتصاراً لرأي بقدر ما هي إحقاق حق، وإظهار حجة وبينة، وتكرار موعظة حسنة، وإشعار بالحرص الشديد على من ندعوهم، فأنت ترى هذا الرجل المؤمن الذي كتم إيمانه لا يمل من تكرار الموعظة والمحاولة مع سفه وتكبر فرعون، واسمع إليه وهو يقول لقومه: ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٣٨) يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ﴾ (غافر: ٤٠)، إلى أن يقول: ﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ (٤١) تَدْعُونَنِي لأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ (٤٢) لا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلا فِي الآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٤٣) فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (غافر: ٤١-٤٤).

ماذا يبقى بعد هذا البيان الواضح الشامل للحقائق الرئيسية في العقيدة؟، إنه أخيرًا كشف عن نفسه كموقف إشهاد، ولكن بأسلوب حكيم، وثبات كريم، ولا يبقى بعد ذلك إلا أن يفوِّض أمره إلى الله ليقيه سيئات ما مكروا، وقد وقاه

﴿ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴾ (غافر: ٤٥)، هل نظرت إلى هذا المؤمن من آل فرعون، وكيف يخاطب فرعون ومن معه، إنه يشعرهم بأنهم قومه، وأنه واحد منهم، يهمه أمرهم، ويعنيه أن يبقى لهم ملكهم ويدوم لهم مجدهم: ﴿ يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِن جَاءَنَا ﴾ (غافر: ٢٩)، فبعد أن طمأنهم على ملكهم ليجد آذانا تسمعه بدأ يخوفهم مما أصاب الأمم من قبلهم حين أعرضوا عن دعوة الله تعالى، وطاعة رسوله: ﴿ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴾ (غافر: ٣٠-٣١)، هذا ما يخافه عليهم في الدنيا، ثم انتقل إلى تخويفهم من عذاب الآخرة: ﴿ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (غافر: ٣٢-٣٣)، ويستمر المؤمن المخلص في دعوته إلى قومه بهذا الأسلوب[1].

(١) «الدعوة قواعد وأصول» (١٣٠-١٣٢).

obeikandl.com

الفصل السادس

آداب وقواعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

بعد أن رأينا خطورة اللامبالاة بتلك الفريضة وعرفنا أن التقصير فيها عاقبته وخيمة على الفرد والمجتمع، ثم تعرفنا على ضرورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنه ضرورة حتمية لخيرية الأمة الإسلامية، ثم وقفنا مع فضل تلك الفريضة وفضل أهلها، ثم وقفنا مع صور مشرقة مع الآمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر، وكأني بك ـ أخي المسلم ـ قد اشتاقت نفسك لتنال أجر وثواب الخيرية، وكأني بصدرك قد انشرح وقد زالت عن بصيرتك غشاوة اللامبالاة، وها أنت قد عزمت وشمرت عن ساعد الجد والاجتهاد، لتكون من هؤلاء المجاهدين، ومن هؤلاء الناصحين، ولكن قبل أن تأمر وتنهى لابد أن تتعرف على آداب وقواعد تلك الفريضة كما بينها العلماء والحكماء:

أولاً ـ الإخلاص:

يقول ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ: الإخلاص لله تعالى في عمله، بحيث يقصد بدعوته التقرب إلى الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ، ونصر دينه وإصلاح عباده بإخراجهم من ظلمات الجهل والعصيان إلى نور العلم والطاعة، فتكون دعوته نابعة عن محبة الله ولدينه، ومحبة الخير لكافة البشر، والدعوة النابعة عن إخلاص مع القوة والعزيمة، والاعتماد على الله، لابد أن تؤثر وتعمل عملها، ألا ترى إلى قصة موسى عليه السلام، حين حُشر الناس له ضحى يوم زينتهم وجمع له فرعون كيده، ثم أتى بأبهته وعزته وكبريائه، قال لهم موسى: ﴿ وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى ﴾ (طه: ٦١)، فماذا فعلت هذه الكلمة؟، إنها فرقت كلمتهم وشتت شملهم في الحال بدون تأخير، ﴿ فَتَنَازَعُوا

أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ (طه:٦٢)، والتنازع أكبر أسباب الفشل، وذهاب الريح، كما قال سبحانه: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ (الأنفال:٤٦)، فإخلاص الداعي في دعوته لله تعالى أمر مهم بالنسبة لنجاحه فيها، وثوابه عليها، أما قصد مراءاة الناس بذلك، أو أراد شيئًا من الدنيا مالاً أو جاهًا أو رئاسة فعمله حابط، ونفعه قليل، قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (١٥) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (هود:١٥-١٦).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه»، فذكر الحديث وفيه: «ورجل تعلم العلم وعلمه، فأتى به فعرفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملت فيها، قال: تعلمت القرآن وعلمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت ليُقال: عالم، وقرأت ليُقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار»[1].

ثانيًا ـ أن يكون الآمر عالمًا بما يأمر، عالمًا بما ينهى، وتلك هي البصيرة التي ذكرها الله تعالى في كتابه:

يقول ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ: أن يكون الداعي عالمًا بشريعة الله التي يدعو إليها، وعالمًا بأحوال من يدعوهم النفسية والعلمية والعملية، عالمًا بشريعة الله ليدعو إلى الله على بصيرة وبرهان، حتى لا يَضل أو يُضل، وليكون داخلاً في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ (يوسف:١٠٨)، وليستطيع أن يدافع عن دعوته ويقنع خصمه، وكم من داعٍ كان جاهلاً فحصل من المضرة عليه، وعلى من يدعو إليه شيء كبير، لأنه يهزم أمام الباطل، لقلة ما

(١) «رسالة في الدعوة إلى الله» (ص١٥-١٦)، والحديث رواه مسلم.

معه من العلم بالحق، ولهذا لا يجوز تمكين مثل هؤلاء الجهال من الدعوة كما لا يجوز تمكين الصبيان من الجهاد؛ عالمًا بأحوال من يدعوهم النفسية والعلمية ليستعد لهم، ويسلك في دعوتهم ما يليق بأحوالهم، ولهذا لما بعث النبي ﷺ معاذًا إلى اليمن قال له: إنك ستأتي قومًا أهل كتاب، فأخبر بحال من بعثه إليهم من أجل الغرضين السابقين، فإن الداعي إذا دعاهم، وهو لا يعرف حالهم، قد ينعكس عليه هدفه، وقد يبدأ بغير المهم أو بغير الأهم، ويترك ما هو أولى منه»[1]، ويقول سليمان بن فهد العودة:

وأما الذي ينكر عن جهل، فقد يفسد أكثر مما يصلح، وإنك لترى كثيرًا من الجهال ينكرون ما لم يألفوه، وإن كان معروفًا في الحقيقة، ومن أمثلة ذلك، أني صليت الفجر يومًا من الأيام إلى جوار أحد العوام، فبعد أن تنفَّلت راتبة الفجر، وتناولت المصحف لأقرأ شيئًا من القرآن، قال لي: لا ما يصلح هذا، لابد إذا انتهيت من النافلة أن تسلم على من هو على يمينك، ثم تسلم على الذي على يسارك، ثم ترفع يديك وتدعو بما تريد، ثم تقرأ القرآن، فقلت له: سبحان الله، هل تعلم دليلاً على مشروعية سلام الإنسان بعد النافلة؟، قال: لا ما أعلم، فقلت: لماذا تنكر إذًا؟، فقال: علمني جزاك الله خيرًا، فأخبرته أن هذه الأمور ليست ينكر على تاركها بل هي في هذا الموضع بالذات ـ بعد الصلاة أو النافلة ـ غير مشروعة، ومن أهل العلم من حكم ببدعيتها، وأما السلام فمشروع، وأصل رفع اليدين بالدعاء مشروع، ولكن التزامه بعد الصلوات هو محل نظر، إذن فلابد أن يكون المنكر عالمًا على الأقل بما ينكر، وبما يأمر به[2].

---

(١) «رسالة في الدعوة إلى الله» (ص١٩).

(٢) «حتى لا تغرق السفينة» (ص٧٦-٧٧).

obeikandi.com

ثالثًا - أن يبدأ بالأهم بالواجبات قبل النوافل:

يقول الدكتور محمد نعيم ياسين: بما أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، جهاد فيه بذل جهد ومشقة، فينبغي على المسلم أن يوجه هذا الجهد إلى إصلاح القضايا الأكثر أهمية، والخرق الأعظم اتساعًا، وأصول الفساد والمنكر، ولا يحسن به أن يصرف همه وجهده ووقته كله في علاج الجزئيات والفروع البسيطة، إذا كان فسادها ناشئًا عن فساد أصل من الأصول.

وعندما يصطلح الناس أو يربون على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فضول، وتعدٍّ على حريات الآخرين، ويجد هذا الاتجاه دعمًا واضحًا، وحماية كاملة من الحكام، فيحاسب ويجازي بالشر كل مسلم، يدعو إلى الخير، أو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بحجة التعدي على حريات الآخرين، فإنه لا يجدي كثيرًا معالجة الفروع والجزئيات، ولابد أن تتوجه الجهود إلى إزالة المنكر الأكبر، وهو عزوف الناس، وخاصة حكامهم عن حكم ربهم، وطاعته، وضعف عقيدتهم، ويقينهم بالله واليوم الآخر، وإسناد أمورهم إلى جهالهم وضلالهم، وعندما يجهل الناس معنى الركن الأول من أركان الدين، ولا يعرفون مقتضيات «**لا إله إلا الله، محمد رسول الله**»، ولا حقوقها، فينبغي أن تصرف معظم الجهود إلى تجلية معنى هذه الكلمة الطيبة، وبيان حقوقها، ومقتضياتها في حياة الناس، ويؤيد ذلك أن بعض المفسرين قد فسروا المعروف الذي يجب على أمة الإسلام أن تأمر به بأنه الإيمان بالله ورسوله، والعمل بشرائعه، وفسروا المنكر الذي يجب على أمة الإسلام أن تنهى عنه بأنه الشرك وتكذيب رسوله، والعمل بما نهى عنه، فقد روى أبو جعفر الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما في معنى قوله: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ**﴾ (آل عمران: ١١٠).

أنه رضي الله عنه قال: «**تأمرونهم بالمعروف، أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، والإقرار بما أنزل الله، وتقاتلونهم عليه، ولا إله إلا الله أعظم المعروف، وتنهونهم عن المنكر، والمنكر هو التكذيب وهو أنكر المنكر**»؛ ففي هذه الأحوال التي يتخذ فيها الإسلام مهجورًا، لا يجدي إلا الجهاد بالدعوة إلى الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ إلى الشهادتين، وإلى حكم الإسلام وطاعة الله واتباع الرسول ﷺ، وتوحيد الله في الربوبية والألوهية وفي أسماء الجلال، وصفات الكمال».

على أن هذا لا يعني إهمال الجزيئات والفروع، ولكن عملية الإصلاح فيها، تأتي بعد إصلاح العقيدة، فلا يبدأ بها مع الناس الذي فسدت عقائدهم وهو أكثر بكثير ممن بقي لهم عقائد سليمة في المجتمعات الجاهلية، ولكن المطلوب من الغيورين على دينهم أن يوجهوا جهودهم لما يكون أكثر جدوى في سد منافذ المنكر، وأن يشتغلوا بالأهم، ويمنحوه النصب الأكبر من اهتمامهم.

يقول العز بن عبد السلام ـ رحمه الله تعالى ـ في بيان درجات الوسائل الموصلة إلى المصالح: يختلف أجر وسائل الطاعات باختلاف فضائل المقاصد ومصالحها، فالوسيلة إلى المقاصد أفضل من سائر الوسائل، فالتوسل إلى معرفة الله تعالى ومعرفة أحكامه أفضل من التوسل إلى معرفة آياته، والتوسل بالسعي إلى الجهاد، أفضل من التوسل بالسعي إلى الجماعات، والتوسل بالسعي إلى جماعات المكتوبات، وكلما قويت الوسيلة في الأداء إلى المصلحة كان أجرها أعظم من أجر ما نقص عنها، فتبليغ الرسالات من أفضل الوسائل لأدائه إلى جلب كل صلاح دعت إليه الرسل، وإلى درء كل فاسد زجرت عنه الرسل، والإنذار وسيلة إلى درء مفاسد الكفر والعصيان، والتبشير وسيلة إلى تحصيل ذلك المعروف المأمور به، رتبته في الفضل والثواب مبنية على رتبة مصلحة الفعل

المأمور بـه، وكذلك الأمر بالفـرائض أفضل من الأمـر بالنوافل، والأمر بـإماطة الأذى عن الطريق من أدنى مراتب الأمر بالمعروف.

ويقول أيضًا في بـيان درجات الوسائل المؤدية إلي المفاسـد، وهكذا تختلف رتب الوسائل باختلاف قوة أدائهـا إلى المفاسد، وكذا النهي عن المنكر وسيلة إلى دفع مفـسدة ذلك المنكر المنهي عنه، ورتبتـه في الفضل والثواب مـبنية على درء مفسدة الفعل المنهي عنه في باب المفاسد ثم تترتب رتبة على رتب المفاسد إلى أن تنتهي إلى أصغر الصغائر، النهي عن الكفر بالله أفضل من كل نهي عن المنكر.

ويضرب الإمام أبو حامد ـ رحمه الله ـ مـثلاً لمن يشتغل بالأقل أهمية ويترك الأمور الخطيرة، فيقول: فمن غصب فرسه ولجام فرسه، فاشتغل بطلب اللجام، وترك الفرس، نفرت عنه الطباع ويرى مسيئًا[1].

رابعًا ـ ومن آداب وأخلاق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر «الصبر وتحمل الأذى»:

يقول الدكتور محمد رجب الشتيوي: من الصفات التي يجب أن يتحلى بها الداعية الصبر على الإيذاء وتحمل البـلاء فالدعوة طريق صعب وشاق، إنه طريق الأنبياء والمرسـلين الذين يدعون إلى الطريق المستقـيم، وطريق الدعوة الحق ليس مفروشًا بالورود والرياحين، بل هو طريق وعر شاق، ممتلئ بالشوك من المعاندين والمعـارضين، وما ذاك إلا لأن النفس البـشريـة دائمًا تقف أمـام الحق بالجحـود والإنكار خاصة إذا كان يتعلق بالعقيدة، فتحويل الناس من عقيدة إلى أخرى أمر عسير على النفوس صعب القول، لأن العقـيدة مهما كانت فاسدة لابد وأن تترك أثرًا في قلب معتنقيـها، لا يزول بسهولة، ولا يتمكن صاحبـه أن ينساه بسرعة، ومن هنا كان جهـاد الأنبياء والرسل ـ عليهم السلام ـ مع أقوامـهم، وكان الأمر

(١) «الجهاد . . ميادينه وأساليبه» (ص١٥٣-١٥٦).

من الله للأنبياء والرسل بالصبر الجميل على تحمل الإيذاء الذي يقع لهم من الشر، ولذا يقول الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ (الأحقاف: ٣٥)، وأولو العزم من الرسل ما نالوا هذا الوصف الكريم وسموا بأولي العزم إلا أنهم صبروا وصابروا على تحمل الإيذاء وشدة البلاء[١].

واعلم ـ علمني الله وإياك ـ أن الصبر قرين اليقين، واليقين هو المحرك الذي يحرك صاحبه على الدعوة إلى الله تعالى، فإذا صبر المسلم نال اليقين، وإذا نال اليقين نال الإمامة في الدين، يقول ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ (السجدة: ٢٤)، ولذلك قال سفيان: بالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدين[٢].

فإن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر معرَّض للأذى، فلا يليق أن ينزعج ويجزع، ويترك مهمته أو يتبرم بها، ولذلك قال لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾ (لقمان: ١٧)، ذلك أن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس مفروشًا بالورود والرياحين، بل هو مليء بالأشواك والصخور والمصاعب الجمة، فمن لم يتذرع بالصبر خليق به أن يستطيل الطريق، ويستثقل العمل، فيتخلى عن المهمة الربانية الكريمة التي انتدب نفسه إليها، عجيب أمر بعضنا!، يقول: عندي أخ أو زميل أو قريب لا يصلي أو يشرب الخمر أو . . أو . .

فإذا قيل له: انصحه واجتهد في نصحه قال: عجزت عنه، أو قال: ما فيه فائدة، سبحان الله!، أين ذَهَبت: ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَامًا ﴾ (العنكبوت: ١٤)،

---

(١) «الدعوة الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة» (٢٠٧-٢٠٨).

(٢) «أخلاق الداعية» (ص٢١).

عن عقلك؟، أين الصبر الجميل؟، أين طول النفس؟، أين دأب الدعاة وإصرارهم؟، أمِنْ مرة أو مرتين أو عشر مرات تقول: عجزت أو لا فائدة؟، وربما أن الكلمة التي جعل الله نجاة هذا العاصي بسببها لم تصل إلى أذنه بعد .. وربما تبذر أنت البذرة، ويأتي غيرك فيسقيها فتنبت وتثمر، لكن إياك أن تكون كالكسعى الذي يضرب به المثل في الندامة حين رمى بسهامه ليلاً، فظن أنها لم تصب، فكسر القوس، فلما أصبح وجدها كلها قد أصابت الغرض، فاغتم لكسر القوس غمًا لا يوصف، فاحذر أن تكونه.

إن للقلوب إقبالاً وإدبارًا، وللنفوس قتامة وإشراقًا، ومن المصلحة أن تتعاهد الدعوة وقت إقباله وارتياحه بالكلمات الطيبة وتهاديه وتلاطفه، وتحتال للوصول إلى قلبه بكل حيلة لا تذم، ولأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حمر النعم[١][٢].

خامسًا - الرفق والحِلم:

الحلم صفة هامة للداعية تجمع القلوب وتذيب الإحن، وتعطي له قدرًا كبيرًا من الصلابة في مواجهة أشد المواقف، وأحلكها، والحلم سيد الأخلاق، يقول - سبحانه وتعالى -: ﴿**وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾ (فصلت: ٣٤).

والحلم ليس دليل ضعف أبدًا، بل هو الدليل على القوة، والمالك لنفسه عند الغضب هو القوي في الحقيقة، يقول ﷺ: **«ليس الشديد بالصُّرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»**[٣].

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٣٩٧٣).

(٢) «حتى لا تغرق السفينة» ص (٨٠-٨١).

(٣) أخرجه البخاري رقم (٣٩٧٣).

والحلم معناه: أن يكتم المؤمن غيظه، وأن يصل من قطعه، وأن يعفو عمن ظلمه، وأن يحسن إلى من أساء إليه، قال الله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٤).

والداعية إلى الله هو أولى من غيره في ضرورة التحلي بخلق الحلم، والعفو وكظم الغيظ، حتى يستطيع أن يجذب القلوب إليه، وأن يحبب الناس فيه، وأن يدفع أبناء الأمة الإسلامية إلى الدين الحق، والتزام هدى الله ـ جَلَّ جلاله ـ.

يقول الشيخ علي محفوظ ـ رحمه الله ـ: فكمال العلم في الحلم ولين الكلام مفتاح القلوب، فيستطيع أن يعالج أمراض النفوس وهو هادي النفس مطمئن القلب، لا يستفزه الغضب، ولا يستثيره الحمق، فتنفر منه القلوب، وتشمئز منه النفوس، وحسبك في هذا قول الله تعالى لإمام الداعين ﷺ: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران: ١٥٩)، فلو كان الداعي سيء الخلق جافيًا قاسي القلب، فأغلظ لهم في القول، تفرقوا عنه وانصرفوا من حوله، فحرموا الهداية بأنوار دينهم، فعاشوا وماتوا جهلاء، وذلك هو الشقاء، وهو سببه وعلته. اهـ.

ويقول عبد الله ناصح علوان: وكم يخطئ الذين يأخذون الناس بالشدة، ويعاملونهم بالقسوة، ويسلكون معهم سبيل الفظاظة والعنف، عدا أنهم أعطوا الصورة المشوشة عن أخلاق الدعاة، وجانبوا سبيل التأسي بالنبي ﷺ في مرآة حلمه وعفوه الجميل، فإنهم أيضًا أحدثوا ردود الفعل في نفوس من يدعونهم، وربما أدت بهم هذه الردود النفسية إلى أسوأ المسالك، وأخطر الانحرافات، ولضرورة هذه الصفة للداعية أمر الله رسوله بها، فقال له: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٩٩)، وقال له: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (المائدة: ١٣).

ويقول ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: ولابد في الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر من الرفق، ولابد أن يكون حليمًا صبورًا على الأذى، فإنه لابد أن يحل له أذى، فإن لم يصبر ويحلم، كان ما يفسد أكثر مما يصلح، وينقل ما قاله أبو ليلى: لا يأمر ولا ينهى إلا من كان رفيقًا فيما يأمر به، رفيقًا فيما ينهى عنه، حليمًا فيما يأمر به، حليمًا فيما ينهى عنه[١]. اهـ.

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ (لقمان:١٧)، وذلك يستلزم العلم بالمعروف ليأمر به، والعلم بالمنكر لينهى عنه، لا يتم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا بالرفق والصبر، وقد صرح به في قوله: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾ (لقمان:١٧)، ومن كونه فاعلاً لما يأمر به كافًا لما ينهى عنه، فتضمن هذا تكميل نفسه بفعل الخير وترك الشر، وتكميل غيره بذلك بأمره ونهيه، ولما علم أنه لابد أن يبتلى إذا أمر ونهى، وأن في النهي مشقة على النفوس، أمره بالصبر على ذلك، فقال: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾، الذي وعظ به لقمان ابنه، ﴿مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (لقمان:١٧)، أي: من الأمور التي يعزم عليها، ويهتم بها، ولا يوفق لها إلا أهل العزائم. اهـ[٢].

وقال الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله تعالى ـ: الناس يحتاجون إلى مداراة ورفق في الأمر بالمعروف، بلا غلظة إلا رجلاً معلنًا بالفسق والردى، فيجب عليك نهيه وإعلانه، لأنه يُقال: ليس لفاسق حرمة، فهذا لا حرمة له، وقال أيضًا: كان أصحاب ابن مسعود إذا مروا بقوم يرون فيهم ما يكرهون يقولون: مهلاً رحمكم الله. ومن الرفق أن يراعي القائم بهذه الفريضة حرمة

---

(١) «الحسبة في الإسلام».

(٢) «تفسير الشيخ السعدي» (جـ ٦) ـ (ص٧٩).

الناس ومشاعرهم، فلا يفضحهم، وإنما يأمرهم وينهاهم بالرفق واللين، وبدون تشهير بهم، قال الإمام الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ: من وعظ أخاه سراً فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه[١].

سادسًا ـ القدوة الحسنة:

بمعنى أن يعمل بما علم، وأن يأتمر بما يأمر، وأن ينتهي عما ينهى، وينبغي للمجاهد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أن يتخلق بما يدعو إليه، وأن يتجنب ما ينهى الناس عنه، حتى يكون لكلامه أثر فيمن يأمرهم وينهاهم، فقد قال الله تعالى: ﴿ **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ** ﴾ (البقرة: ٤٤)، وقال أيضًا: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ** ﴾ (الصف: ٢-٣).

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**يؤتى بالرجل يوم القيامة، فيلقى في النار، فتندلق اقتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى، فيجتمع إليه أهل النار، فيقولون: يا فلان ما لك ما لك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، فيقول: بلى، كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه**»[٢].

ولقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا أراد أن ينهى الناس عن شيء يقدم إلى أهله ويقول: «**لا أعلمن أحداً وقع في شيء مما نهيت عنه، إلا أضعفت له العقوبة**»[٣].

إلا أنه ينبغي أن يلاحظ في هذا المقام أنه لا يشترط في الآمر والناهي أن يكون عاملاً في الحال، وأن عدم امتثاله لما يقول ومخالفة قوله عمله لا يسقط

---

(١) «الجهاد .. ميادينه وأساليبه» (ص١٥٧-١٥٦). (٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) «الجهاد ميادينه وأساليبه» (١٦٠-١٦١).

obeikandl.com

عنه واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن المعصية لا تبرر ترك الواجبات مهما كانت تلك المعصية، ومهما كانت الواجبات.

نعم . . ويجب على المرء أن يأمر نفسه بالمعروف وينهاها عن المنكر قبل أمر الناس ونهيهم، حتى لا يواجه الناس بحال نفسه، ويقولون له: هلاَّ أمرت نفسك قبل أن تأمرنا ونهيتها قبل أن تنهانا، ولكن عدم قيامه بهذا الواجب لا يجعل له عذر في ترك غيره من الواجبات التي من أهمها أمر الناس بالمعروف ونهيهم عن المنكر، فقد يكون لكلامه أثر في بعض الناس أكثر مما يكون لكلام غيره، فإن النفوس تختلف في تقبل الوعظ باختلاف الواعظين[1].

* يقول بعض الشباب: أنا عاصٍ، فكيف أغير المنكر وأنا كذلك؟

فنقول: غَيِّر المنكر، وإن كنت عاصيًا، فقد قال الله تعالى عن بني إسرائيل: ﴿كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ (المائدة: ٧٩)، مما يدل على أن فاعل المنكر مطالب بالإنكار، وهذا مذهب عامة العلماء بل حكى بعضهم الإجماع عليه، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

ولو لم يعظ في الناس من هو مذنب ... فمن يعظ العاصين بعد محمد!

ووقوعك في معصية لا يسوغ لك الوقوع في معصية أخرى، أعني: معصية السكوت عليها، وعدم إنكارها[2].

سابعًا ـ أن يغلب على ظنك أن المصلحة أرجح من المفسدة في أمرك ونهيك:

اعلم ـ علمني الله وإياك ـ أن المقصود بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: إنما هو تحصيل المصالح ودرء المفاسد، بل إنما بعث الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ

---

(١) كتاب «حتى لا تغرق السفينة» (ص٩٨).
(٢) «الجهاد . . ميادينه وأساليبه» (١٦٠-١٦١).

من أجل جلب المصالح وتكميلها، وتقليل المفاسد وتعطيلها، ولهذا إذا علم المسلم أن أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر سيترتب عليه مفسدة في موقف من المواقف، فإنه يمنع من الأمر، ومما روي في هذا الباب أن شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ خرج مع بعض تلاميذه من دمشق وفي طريقهم مروا ببعض التتر وهم يشربون الخمر، فهمَّ بعض التلاميذ بالإنكار عليهم، فقال شيخ الإسلام: دعوهم وما هم فيه، فقالوا: نتركهم ـ رحمك الله ـ على هذا المنكر؟، قال: نعم، إن هؤلاء القوم لو أفاقوا من سكرهم لدخلوا دمشق فهتكوا الأعراض، ونهبوا الأموال، وقتلوا الرجال[1].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: وجماع ذلك داخل في القاعدة العامة، فيما يجب ترجيح الراجح منها، فإن الأمر والنهي وإن كان متضمنًا لتحصيل مصلحة ودفع مفسدة، فينظر في المعارض له، فإن كان الذي يفوت من المصالح أو يحصل من المفاسد أكثر لم يكن مأمورًا به، بل يكون محرمًا إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته. اهـ[2].

(١) «حتى لا تغرق السفينة» (ص٨٢).

(٢) «الحسبة في الإسلام» (ص٦٦).

obeikandl.com

الفصل السابع

كيفية إنكار المنكر[١]

كيفية الإنكار على من يفعل المنكر يختلف باختلاف حال الفاعل وما يناسب حاله، فينبغي للمحتسب أن يستعمل في إنكاره الكيفية التي تكون أنسب وأجدى في زوال المنكر، وذلك بأن يراعي مقامه ومنزلته، ثم يسلك معه أقرب الوسائل إلى حصول المقصود، وهو الصلاح، فيكون قد أتى بالأمر والنهي بالصراط المستقيم الذي أمر به، ومثله في ذلك كالطبيب الذي يعطي المريض ما يناسب حاله ومزاجه، وسأستعرض أنواعًا من الناس، وأبين كيفية الإنكار عليهم على النحو التالي:

١ ـ الجاهل لما يرتكبه بأنه منكر. **٢ ـ العالم بأن ما يرتكبه منكر.**

٣ ـ الوالد بالنسبة لولده. **٤ ـ العبد بالنسبة لسيده.**

٥ ـ الزوجة بالنسبة لزوجها. **٦ ـ السلطان بالنسبة لرعيته.**

٧ ـ الفاسق والعاصي الذي يحتاج إلى الهجر.

أولاً ـ كيفية الإنكار على الجاهل لما يرتكبه بأنه منكر:

من أقدم على منكر جاهلاً أنه منكر بحيث لو علم أنه منكر لما قدم عليه، فإنه يعلم برفق ولطف وسياسة، وليحذر من الطيش والعجلة، بل يستعمل التأني والتثبت والملاطفة في الدعوة، فإن في ذلك خيرًا كثيرًا، وإن كان يعلم منه أنه لو سمع الكلام من غيره، رجع عن فعله، فإنه ينبغي له أن

---

(١) هذا الفصل للأمانة العلمية من كتاب «القول البين الأظهر في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» تأليف الدكتور: عبد العزيز بن عبد الله الراجحي، بتصرف وزيادة واختصار.

يطلب من غيره ممن لا يشق عليه أن يبين له ما هو عليه من المخالفة ليكون ذلك أدعى إلى القبول والاستجابة.

ومثال ذلك: لو رأى من يسيء في صلاته لجهله، وهو يعلم منه أنه لو علم أن هذه الصلاة باطلة، لم يرض لنفسه ذلك، أو رأى من يجمع الصلوات ليلاً مثلاً لأنه مشتغل عنها، فإن المنكِر يستعمل معه التلطف في موعظته وتعليمه، مثل أن يقول: أنا أعلم أنك مشغول بما أنت فيه، ولكن لابد من الطمأنينة في الصلاة، ولابد من أداء كل صلاة في وقتها، ولاشك أنك ترى كثيراً من الناس يسيئون في صلاتهم، والناصح لهم قليل، ولكن - يا أخي - لا يعذر أحد في ترك أمور دينه، لأن الله تعالى يقول: ﴿ **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ﴾ (الأنبياء: ٧).

ويا أخي .. العلماء كلهم متفقون على أن الإنسان لا يجوز له أن يؤخر الصلاة عن وقتها عمداً، وأنت قريب من الخير، ولاشك أنك تريد براءة ذمتك وإحسان عملك، والصلاة رأس مال المسلم، فلابد من الإحسان فيها، وأدائها في وقتها . . ونحو هذه العبارات التي يحصل بها المقصود.

ثانيًا - كيفية الإنكار على العالم بأن ما ارتكبه منكر:

من أقدم على فعل منكر مع علمه أنه منكر، إما لأنه يعلم ذلك، أو لأنه عرف أنه منكر، ومثال ذلك: من يواظب على الغيبة أو أكل الربا أو الرشوة، مع علمه أنه حرام، فالمنكر يستعمل معه الوعظ والتخويف، وبيان رتبة تحريم تلك المعصية، وبيان ما جاء فيها من الوعيد والتهديد، ويسوق له الأخبار الواردة في تلك المعصية، فإن ذلك أجدى وأنجع في التأثير في العالم بالحكم.

ثالثًا - كيفية الإنكار على الوالد من قبل ولده:

إذا فعل الوالد منكرًا، فللولد أن يأمر والده وينهاه بالوعظ والنصح مع الرفق والتلطف في الكلام، وليس للولد مقابلة والده بالتخويف ولا بالتهديد، ولا بالضرب، ولا بالسب، ولا بالتعنيف، ولا بتخشين الكلام، وذلك لأن الوالد له على ولده حق عظيم، وقد قرن الله حقه بحق الوالدين في قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (الإسراء: ٢٣)، وأمر بالإحسان إلى الوالدين إن كانا كافرين مع عدم طاعتهما في الشرك، فقال تعالى: ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ (لقمان: ١٥)، وللولد تغير المنكر على والده بيده إن لم يحصل بسبب ذلك مفسدة أكبر، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فالولد يغير المنكر على والده، بيده مع القدرة وعدم المفسدة، ومع ذلك يستعمل التلطف في الخطاب والترحم عليه بالدعاء له، وبيان ضرر المعصية حتى يهدأ والده ويسكن إليه، ويعلم أن قصد ابنه محض النصح له، والشفقة عليه، والغيرة لله ولمحارمه.

قلت[1]: ولقد ذكر الله تعالى لنا ذلك الحوار الذي دار بين إبراهيم عليه السلام وأبيه الذي يحمل في طياته العطف والرفق والرأفة والرحمة والأدب الجم، مع ذلك الوالد المعاند الكافر، يقول - سبحانه وتعالى -: ﴿إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا (٤٢) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (٤٥) قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (٤٦) قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ (مريم: ٤٢-٤٧).

---

(١) المؤلف: أبو همام.

قال أبو السعود: ولقد سلك ﷺ في دعوته أحسن منهاج وأقوم سبيل، واحتج عليه أبدع احتجاج بحسن أدب وخلق جميل، لئلا يركب متن المكابرة والعناد، ولا ينكب بالكلية عن محجة الرشاد[١].

وقال الزمخشري: ثنى ﷺ بدعوته إلى الحق مترفقًا متلطفا، فلم يسمِّ أباه بالجهل المفرط، ولا نفسه بالعلم الفائق، ولكنه قال: إن معي طائفة من العلم، وشيئًا منه ليس معك، وذلك علم الدلالة على الطريق السوي، فلا تستنكف وهب أني وإياك في مسير، وعندي معرفة بالهداية دونك، فاتبعني أنجك من أن تضل وتتيه[٢]، وهكذا تكون دعوة الآباء والأمهات بلطف ورفق ولين وخفض للجناح.

رابعًا ـ كيفية الإنكار على السيد من قبل عبده:

إذا فعل السيد منكرًا، فللعبد أن ينكر عليه برفق ولطف ولين، إذا لم يخش من سطوته، فإن كان يخشى من سطوته طلب من غيره أن يناصحه ممن يؤثر نصحه فيه، وبذلك تبرأ ذمة العبد.

قلت[٣]: ومن جميل ما ذكر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ما فعله ذلك العبد مع سيده، يُروى أن رجلاً قال لعبده: ازرع هذه الأرض برًا، ثم سافر وكان مسرفًا على نفسه مفرطًا في جنب الله تعالى، فلما سافر قام العبد وزرع الأرض شعيرًا، فلما عاد سيده من سفره، وجد الأرض مزروعة شعيرًا ولم تُزرع بُرًا، فنادى على عبده وقال له: ألم أقل لك ازرعها بُرًا، فلِمَ زرعتها شعيرًا؟،

---

(١) نقلاً من «محاسن التأويل» (جـ ٧) - (١٢٨-١٢٩).

(٢) «الكشاف» (جـ ٣) ـ (١٩).

(٣) المؤلف: أبو همام.

قال: يا سيدي رجوت من الشعير أن يكون بُرًا، فقال له: يا أحمق ترجو من الشعير أن يكون بُرًا؟، قال: يا سيدي وأنت تعصي الله وترجو رحمته، فعندها قال سيده: تبت إلى الله، وأَعْتقه.

وهذه من فقه وفطنة ذلك العبد وحكمته في دعوة سيده.

خامسًا ـ كيفية الإنكار على الشيخ من قبل تلميذه:

إذا فعل الشيخ منكرًا، فللتلميذ أن ينكر عليه، ويعامله بموجب علمه، ويبين له مغبة المعصية وعاقبتها الوخيمة، ويخوفه بالله وسطوته وعقوبته ويبين له أن العالم قد قامت عليه الحجة بخلاف الجاهل، وأن من لم يعمل بعلمه ولم يأتمر بالأوامر وينزجر عن النواهي، فقد شابه أهل الكتاب الذين شبههم الله بالحمار الحامل للأسفار في قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (الجمعة: ٥)، وقد غضب الله عليهم، وأن من فسد من علماء هذه الأمة، فهو داخل في المغضوب عليهم، فلعل ذلك أنجع في إقلاعه عن ذنبه، ورجوعه إلى جادة الحق والصواب.

سادسًا ـ كيفية الإنكار على الزوج من قبل زوجته:

إذا فعل الزوج منكرًا فإن الزوجة تنكر عليه بالرفق واللين والموعظة الحسنة، وتبين له أنها مطيعة له، ومعترفة بما له عليها من حق، ولكن عليه هو أن يطيع الله ويجتنب محارمه، وأنها لن تسكت على فعله المنكر، وأنها مشفقة عليه من العقوبة، وليست عاصية له ولا مؤذية له، وإنما هي مشفقة ناصحة، فإن أفاد ذلك في إقلاعه عن الذنب ورجوعه عنه، وإلا فتطلب من أقاربه أو أقاربها ممن له تأثير فيه أن يناصحه حتى يزول المنكر، ويحل محله المعروف، فيحصل الخير والصلاح.

سابعًا ـ كيفية الإنكار على السلطان من قبل رعيته:

لاشك أن من أعظم أنواع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كلمة حق عند سلطان جائر، كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر**»[(١)].

وعن طارق بن شهاب رضي الله عنه: أن رجلاً سأل النبي ﷺ وقد وضع رجله في الغرز: أي الجهاد أفضل؟، قال: «**كلمة حق عند سلطان جائر**»[(٢)]، وإذا ارتكب السلطان منكرًا، فللرعية معه ثلاث حالات:

الأولى ـ أن يقدر على نصحه، وأمره بالمعروف، ونهيه عن المنكر من غير أن يحصل منه ضرر أكبر من الأول، ولا منكر أعظم من الأول، ففي هذه الحالة يجب نصحه، وكيفية النصح يجب أن تكون بالموعظة الحسنة مع اللطف، لأن هذا هو مظنة، وناصحه وآمره في هذه الحالة مجاهد سالم من الإثم، ولو لم ينفع نصحه.

الثانية ـ أن لا يقدر على نصحه لأنه يبطش بمن يأمره، أو لأن نصحه يؤدي إلى حصول منكر أعظم، وضرر أكبر، وفي هذه الحالة يكون الإنكار عليه بالقلوب وكراهة منكرة والسخط عليه، وهذه الحالة من أضعف الإيمان.

الثالثة ـ أن يكون راضيًا بالمنكر الذي يفعله السلطان، ومتابعًا له عليه، وفي هذه الحالة يكون شريكه في الإثم والوزر.

وقد دل الحديث الصحيح على هذه الحالات الثلاثة للرعية مع السلطان، وهو حديث أم المؤمنين أم سلمة هند بنت أبي أمية رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال:

---

(١) أخرجه أبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن.

(٢) رواه النسائي بإسناد صحيح.

«إنه يُستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون، فمن كره فقد برئ، ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضي وتابع»، وقالوا: يا رسول الله ألا نقاتلهم؟، قال: «لا، ما أقاموا فيكم الصلاة»[(١)].

فقوله ﷺ: «فمن كره»، أي: بقلبه، ولم يستطع إنكارًا بيد ولا لسان، فقد برئ من الإثم، وأدى وظيفته، وقوله: «ومن أنكر فقد سلم»، أي: من أنكر بحسب طاقته، فقد سلم من هذه المعصية، وقوله: «ولكن من رضي وتابع»، أي: رضي بالمعصية وتابع عليها، فهو عاصٍ كفاعلها، ولا يجوز الإنكار على السلطان بالخروج عليه ومقاتلته.

قلت[(٢)]: يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: لا يعرف لطائفة من طوائف المسلمين خرجت على ذي سلطان، إلا وكان في خروجها من المفاسد أعظم من المصالح التي حصَّلتها.

وقال أيضًا: ما تواتر عن رسول الله ﷺ في نهيه عن الخروج عن الأئمة الظلمة أصحاب المنكرات مع أنه قد يخطر لبال الخارج أنه يحصل مصلحة، وزوال المنكر، وظهور السنة، ولكن لما كان الغالب في الخروج إزهاق الأرواح وهتك الأعراض، وإباحة الأموال، نهى رسول الله ﷺ عنه[(٣)].

كيفية الإنكار بالهجر

نتكلم على الهجر في حدود المباحث التالية:

١ ـ معنى الهجر.

٢ ـ تقسيم الهجر وبيان الهجر الشرعي من غيره.

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه».
(٢) أبو همام.
(٣) «الدرة المرضية شرح منظومة القواعد الفقهية» تأليف: جمعة صالح محمد (ص٤٧).

٣ ـ الحكمة من الهجر الشرعي.

٤ ـ بيان من يشرع معه الهجر من الناس ومن لا يشرع.

٥ ـ بيان نهاية ووقت الهجر للمهجور.

٦ ـ بيان هل يفرق بين الأحوال والأشخاص والأزمان في الهجر.

٧ ـ بيان هل يجتمع في الشخص الواحد سبب الموالاة وسبب المعاداة، فيكون فيه خير وشر، وبر وفجور، وطاعة ومعصية، فيحَب من وجه، ويُبغَض من وجه وبيان الشخص الذي يُحب من وجه، ويُبغض من وجه.

أولاً ـ معنى الهجر والمراد به:

الهجر في اللغة: الترك، ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ (المدثر: ٥)، والمراد به هنا: هجر العاصي ومقاطعته وترك تكليمه والسلام عليه، وعدم إجابة دعوته والسلام عليه.

ثانيًا ـ تقسيم الهجر:

الهجر نوعان: **أحدهما:** هجر لحقِّ النفس وحفظها، **والثاني:** هجر لحقِّ الله.

فالأول ـ غير مشروع ولا مأمور به، بل منهي عنه، لأن المؤمنين إخوة.

والثاني ـ هجر لحق الله، وهذا هو الهجر الشرعي المأمور به، فهو طاعة، والطاعة لابد أن تكون خالصة لله، صوابًا، فمن هجر لهوى نفسه، أو هجر هجرًا غير مأمور به، لم يكن مشروعًا.

والهجر الشرعي نوعان:

الأول ـ هجر الإنسان نفسه عن فعل المنكرات، كما قال ﷺ: «**المهاجر من هجر ما نهى الله عنه**»[(١)]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ (المدثر: ٥).

---

(١) متفق عليه.

الثاني - هجر المقام بين من يفعل المنكرات، فلا يشهد المنكرات مثل قوم يشربون الخمر لا يجلس عندهم، أو دُعي إلى وليمة فيها خمر، أو زمر لا يجيب دعوتهم إلا لحاجة كم حضر عندهم للإنكار عليهم، أو حضر بغير اختياره، ولهذا يُقال: «حاضر المنكر كفاعله»، وفي الحديث: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يجلس على مائدة يشرب عليها الخمر[1]، ومن هذا الباب الهجرة من دار الكفر والفسوق إلى دار الإسلام والإيمان، فإنه هجر للمقام بين الكافرين والمنافقين الذين لا يمكنونه من فعل ما أمر الله به.

وهذا النوع المذكور في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾ (الأنعام: ٦٨)، وقوله تعالى: ﴿ **وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ** ﴾ (النساء: ١٤٠).

والنوع الثاني من أنواع الهجر الشرعي: هجر من يظهر المنكرات حتى يتوب منها، وهذا الهجر على وجه التأديب، فهو بمنزلة التعزير والعقوبة لمن يفعل المنكرات، والتعزير يكون لمن ظهر منه ترك الواجبات، وفعل المحرمات، فإن المنكرات الظاهرة يجب إنكارها، بخلاف الباطنة، فإن عقوبتها على صاحبها خاصة، ومثال ذلك من السنة: هجر النبي ﷺ والمسلمين الثلاثة الذين خلفوا حتى أنزل الله توبتهم، حين ظهر منهم ترك الجهاد المتعين عليهم بغير عذر، ولم يهجر من أظهر الخير، وإن كان منافقًا، ولهذا فرق السلف والأئمة بين الداعية إلى البدعة وغير الداعية، فالداعي لا تقبل له شهادته، ولا يُصلَّ خلفه، ولا يؤخذ عنه العلم، ولا ينكح، لأنه أظهر المنكرات فاستحق العقوبة، بخلاف

---

(١) أخرجه الترمذي والحاكم عن جابر رضي الله عنه.

الكاتم، فإنه ليس شرًا من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ يقبل علانيتهم، ويكل سرائرهم إلى الله مع علمه بحال كثير منهم.

ثالثًا ـ الحكمة من الهجر الشرعي:

الهجر شرع لحكمة ومصلحة ورحمة كسائر ما شرعه الله، فإن الله الحكيم يفعل لحكمة، ويخلق لحكمة، ويشرع لحكمة، والحكمة من الهجر هي زجر المهجور، وتأديبه ورجوع العامة عن مثل حاله، إذ المقصود به بيان الحق، ورحمة الخلق.

رابعًا ـ بيان من يشرع معه الهجر من الناس:

الهجر يشرع في حق العصاة والمذنبين، أما الكافر فلا يشرع في حقه الهجر، إذ أن عقوبته على كفره أعظم من الهجر، وليس الهجر مشروعًا في حق جميع العصاة والمذنبين من أهل الإسلام، بل يراعي المهاجر المصلحة الراجحة في الهجر أو الترك، فإن الهجر يختلف باختلاف الهاجرين في قوتهم وضعفهم، وقلتهم وكثرتهم، فإن المقصود به زجر المهجور وتأديبه ورجوع العامة عن مثل حاله، فإن كانت المصلحة في ذلك راجحة، بحيث يفضي هجره إلى ضعف الشر أو خفته، كان مشروعًا، وإن كان لا المهجور ولا غيره يرتدع بذلك، بل يزيد الشر والهاجر ضعيف، بحيث تكون مفسدة ذلك راجحة على مصلحته، لم يشرع الهجر . . . إلى إن قال:

درجات الإنكار:

* درجات الإنكار: إنكار المنكر ثلاثة، وهي:

١ ـ الإنكار باليد.

٢ ـ الإنكار باللسان.

٣ ـ الإنكار بالقلب.

فيجب على من رأى منكرًا، أن ينكره وأن يغيره بحسب الاستطاعة والقدرة من هذه الدرجات الثلاث، فيغيره بيده، فإن كان لا يستطيع غيَّر بلسانه، فإن كان لا يستطيع أنكره بقلبه، دليل ذلك قول النبي ﷺ في حديث أبي سعيد الخدري: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»[1].

فالإنكار فرض باليد واللسان والقلب مع القدرة، فأما فرضه باليد واللسان فهو من فروض الكفايات، وإذا قام به طائفة سقط عن الباقين من الناس، وإن تركوه كلهم أثموا، وأما القلب فلا يسقط عن المنكِر بحال، إذ لا ضرر في فعله، ومن لم يفعله فليس بمؤمن، كما قال النبي ﷺ: «**وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل**»، وقيل لابن مسعود: «من ميت الأحياء؟»، فقال: «**الذي لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا**»، وهذا هو المفتون الموصوف في حديث حذيفة بن اليمان: بأنه لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا[2].

قال ابن النحاس: وأما الإنكار بالقلب، وهو كراهة تلك المعصية، وبغضها فلا يسقط عن مكلَّف بوجه من الوجوه، إذ لا عذر يمنعه. اهـ.

وقال ابن المفلح في الآداب الشرعية: فصل: النهي عن المنكر فرض كفاية على من لم يعيَّن عليه، وهو فرض كفاية على من لم يعين عليه، وسواء في ذلك الإمام، والحاكم، والجاهل، والعدل، والفاسق، إلى أن قال: وأعلاه باليد، ثم باللسان، ثم بالقلب، وفي الحديث الصحيح: «**ليس وراء ذلك من الإيمان مثقال حبة خردل**»

---

(١) أخرجه مسلم.

(٢) أخرجه مسلم «جامع الأصول» (جـ ١٠) ـ (ص٢١).

قال الشيخ تقي الدين ـ رحمه الله ـ: مراده أنه لم يبق بعد هذا الإنكار ما يدخل في الإيمان، ليس مراده من لم ينكر لم يكن معه من الإيمان حبة خردل، ولهذا قال: «ليس وراء ذلك»، فجعل المؤمنين ثلاث طبقات، فكل منهم فعل الإيمان الذي يجب عليه، قال: وعُلِمَ بذلك أن الناس يتفاضلون في الإيمان الواجب عليهم بحسب استطاعتهم مع بلوغ الخطاب إليهم. اهـ.

وقال ابن القيم: وعلى القادر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بيده ولسانه ما ليس على العاجز عنهما، وتكلم يحيى بن معاذ الرازي في الجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقالت له امرأة: هذا واجب، قد وضع عنا، فقال: هو أنه قد وضع عنكن سلاح اليد واللسان، فلم يوضع عنكن سلاح القلب، فقالت: صدقت ـ جزاك الله خيراً ـ.

مرتبتا تغيير المنكر أو طريقا الدعوة إلى الله:

للدعوة إلى الله طريقان: طريق اللين، وطريق الغلظة والقسوة، ولتغيير المنكر مرتبتان: مرتبة اللين، ومرتبة الشدة.

الطريق الأول ـ طريق اللين:

وهو الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وإيضاح الأدلة في أحسن أسلوب، وألطفه، قد أرشد القرآن الكريم إلى هذه الطريق، وأمر بها في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: ١٢٥)، أي: ليكن دعاؤك للخلق مسلمهم، وكافرهم إلى سبيل ربك المستقيم المشتمل على العلم والعمل الصالح بالحكمة، أي: ليكن بالوجه الحسن برفق ولين، وحسن خطاب فأمرهم تعالى بلين الجانب، كما أمر به موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ حين بعثهما إلى فرعون في قوله: ﴿فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا

﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (طه: ٤٤)، ومن الحكمة مراعاة حال المدعوين كل أحد على حسب حاله وفهمه وقبوله وانقياده، ومن الحكمة البدء بالأهم فالأهم، وبما يكون قبوله أتم، وبالرفق واللين، فإن انقاد بالحكمة، وإلا انتقل معه إلى الدعوة بالموعظة الحسنة، وهو الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب، إما بما تشتمل عليه الأوامر من المصالح وتعدادها والنواهي من المضار وتعدادها، وإما بذكر إكرام من قام بدين الله، وإهانة من لم يقم به، وما أعد للعاصين من العقاب العاجل والآجل، فإن كان المدعو يرى أن ما هو عليه حق، أو كان داعية إلى الباطل، فيجادل بالتي هي أحسن، وهي الطريق التي تكون أدعى لاستجابته عقلاً ونقلاً، ومن ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقدها، فإنه أقرب إلى حصول المقصود بشرط: أن لا تؤدي المجادلة إلى خصام أو مشاتمة تذهب بمقصودها، ولا تحصل الفائدة المرجوة منها، وليكن قصد الداعية هداية الخلق إلى الحق، لا المغالبة ونحوها.

الطريق الثاني - طريق الغلظة والشدة والقسوة:

إذا لم ينفع اللين واللطف، ولم يجدِ الوعظ والتذكير والرأي الراشد الحليم، فإنه يصار إلى الغلظة والشدة بالكلام الخشن أو الضرب أو السيف في جهاد أعداء الله، فإن لم تنجح طرق اللين تعينت طريق القسوة بالسيف حتى يعبد الله وحده، وتُقام حدوده وتمتثل الكفار والمنافقون، وتجتنب نواهيه، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ (التوبة: ٧٣)، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحديد: ٢٤)،

ففي الآية إشارة إلى إعمال السيف بعد إقامة الحجة، ولا تسلك هذه الطريق إلا عند الضرورة، حيث لم تثمر طريق اللين ثمرتها المرجوة، كما قيل: آخر الطب الكي، وإن لم تنفع الكتب، تعينت الكتائب، والله تعالى قد يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، ولابد لسلوك هذه الطريق في تغيير المنكر، والدعوة إلى الله من الشروط التالية:

١ ـ القدرة على ذلك، فإن كان لا يقدر على الشدة سقط عنه، وسلك طريق اللين.

٢ ـ أن لا يترتب عليه مفسدة، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (الأنعام:١٠٨)، وقد أخذ من الآية أن درأ المفاسد مقدم على جلب المصالح، وهي مسألة مقررة في الأصول.

٣ ـ أن لا يفيد اللين، ولا يجدي شيئًا في حصول المعروف وزوال المنكر، وقد وجدت هذه الشروط لما نزلت آية الغلظة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾، فإن الآية مدنية، وذلك بعد تمكن الرسول ﷺ وأصحابه من الجهاد باليد، وظهور الاستمرار على الكفر من أعدائهم، ولم يجدِ اللين فيهم شيئًا، فوقعت الغلظة في مركزها[1].

(١) «القول البين الأظهر في الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» (ص٧٤-٩٧)، بتصرف واختصار في بعض المواطن وزيادة.

الفصل الثامن

أسئلة وأجوبة حول الموضوع

السؤال الأول ـ هل يجوز للداعية أن يأخذ الموافقة من ولاة الأمر، أو من الحكومة مثلاً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

الإجابة: الله المستعان ـ مع الأسف ـ هذا السؤال منبعث من واقعنا المريض، نحن مسلمين، فالله تعالى يقول: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ﴾ (آل عمران: ١٠٤)، ورسوله ﷺ يقول: «من رأى منكم منكرًا»، فما الذي يربط الدعوة بولي الأمر؟، وما الذي يربط إنكار المنكر بولي الأمر، أما الأمور الظاهرة فهذه يعالجها المختصون، ولكن الأمور الداخلية أو الأمور الفردية أو ما إلى ذلك، فالمسلم يدعو إلى الله ممتثلاً أمر الله الذي يقول: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ (النحل: ١٢٥)، ويقول: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ (فصلت: ٣٣)، فليتعامل مع الله، ويدعو لولاة الأمور بالدعوات الصالحة، وبالهداية لهم، وبأن يعدل الله حالهم، ويصلحها أو يخلص المسلمين منهم، ويبدلهم بأفضل منهم، على كل حال إذا كان هناك تنظيمات ودعوته تستدعي أن يتصدر في منبر أو أن يتصدر في مؤتمر أو ما إلى ذلك، وهذا الأمر لا يصل إليه إلا عن طريق من يملك هذا الوضع وله إشراف عليه، فلا بأس، ويكون هذا من باب التنظيم، أما أصل الدعوة، فلا إذن فيه، الإذن في التشكيلات التي يملكونها كما وضحت ذلك؟.

السؤال الثاني - *هل تبرأ الذمة بإنكار المنكر مرة واحدة، أم أن الواجب الاستمرار؟*

الإجابة: لا تبرأ الذمة بإنكار المنكر مرة واحدة، إلا إذا كان منكرًا واحدًا، ولم يتكرر ولم يقع مرة ثانية، فالمطلوب المواصلة في الإنكار فيما تكرر أو جد أو أصر عليه صاحبه، وقوله ﷺ: «من رأى منكم منكرًا فليغيره»، الحديث عام يشمل من رآه أول مرة، ومن تكررت رؤيته للمنكر.

السؤال الثالث - *هل يلزمني لإنكار منكر أو لأمر بمعروف أن أعرف الدليل، وإن كان ذلك المنكر واضحًا عندي؟*

الإجابة: الداعية إلى الله يجب أن يكون على علم، وكلمة على علم، تعني: أن عنده من الله فيه برهان، فتكون على علم بما تنكره، وتكون عارفًا لدين الله، وعارفًا للدليل، بحيث لو نوقشت يكون عندك في هذا برهان، أما أن تقول: هذا منكر، وتسكت دون معرفة للدليل، ثم إن سئلت عن الدليل قلت: أنا ما أدري، سمعت فلانًا يقول: أنه منكر، فأنكرت!.

وقد يناقشك فاعل المنكر وينقدك، خاصة إذا كان صاحب حجة ويبين لك أنه معروف، فالعلم لابد منه، والدليل أيضًا في مثل هذه الأمور التي يواجه بها الناس، أرى أنه من الضروري معرفتها.

obeikandl.com

السؤال الرابع ـ هل يجوز المداراة في أمور المعتقد بقصد جمع كلمة المسلمين مع اختلاف عقائدهم؟

الإجابة: لا يجوز ذلك، واسمع قول الله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ (الممتحنة: ٤)، وقوله: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (النحل: ١٢٣)[1].

السؤال الخامس ـ هل يلزم من إنكار المنكر مظنة الاستجابة؟

الإجابة: نقول: لا، لأن الاستجابة أمر لله، وليس لك، إن عليك إلا البلاغ، كما قال تعالى لنبيه ﷺ: الأمر عليك، والنهي عليك، هداية الدلالة التي أمر الله رسوله ﷺ بها عليك الأمر بها في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى: ٥٢)، فلا يلزم ألا تأمر فلان بمعروف، ولا تنهاه عن منكر، إلا إذا غلب على ظنك أنه يستجيب، وهذا حجر عثرة في الدعوة إلى الله، وحجر عثرة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فأنت عليك العمل، وعليك هداية الدلالة، وعليك البلاغ، كما قال تعالى لنبيه ﷺ: أما كون المأمور أو المنهي يقبل أو لا يقبل، فهذه من الأمور المنفية عنك، وعن من هو أفضل منك، يقول الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ (القصص: ٥٦)، ولا ينبغي القول بمظنة الاستجابة، لأنه يعطل الدعوة إلى الله، ويعطل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكن لو قام اثنان بمنكرين وأحدهما

---

(١) «أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حياة الأمة» باختصار (ص٥٠-٥٦).

يغلب على الظن استجابته، والآخر بضد ذلك، ولا طاقة لك إلا بالإنكار على أحدهما، فبداءتك بمن تظن استجابته أولى وأحرى، وكذا لو كان بك طاقة على الإنكار عليهما فبداءتك بمن تظن استجابته خير وأجمل لتقليل فاعلي المنكر، وإضعاف المنكر قبل الإنكار على من قد يشتد في البقاء على منكره[1].

توهم مردود: قد يتوهم الجاهل من ظاهر هذه الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ (المائدة: ١٠٥)، عدم وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن هذا الواجب يسقط إذا أدى الإنسان الواجبات التي عليه، لظاهر قوله: ﴿إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾، وهذا الوهم باطل مردود لما يأتي:

١ ـ أن من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يهتد، وممن قال بهذا حذيفة وسعيد بن المسيب كما نقله الألوسي عنهما في تفسيره وابن جرير، ونقله القرطبي عن سعيد بن المسيب.

٢ ـ أن نفس الآية فيها الإشارة إلى أن ذلك فيما إذا بلغ جهده، فلم يقبل منه المأمور، فمن العلماء من قال: ﴿إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾، أي: إذا أمرتم، فلم يسمع منكم، ومنهم من قال: يدخل الأمر بالمعروف في المراد بالاهتداء في الآية، وهو ظاهر جداً، ولا ينبغي العدول عنه لمنصف.

٣ ـ أن الله تعالى أقسم أن الإنسان لفي خسر، إلا من استثناه في قوله: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (العصر)، فالحق وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فدل ذلك على أن من لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر، ولم يتواص بالحق، ولم يؤدِّ الواجب فهو غير مهتدٍ، فيضره ضلال من ضل، لأنه غير مهتد.

---

(١) المصدر السابق (ص٣٢-٣٣).

٤- أن النصوص دلت على أن الناس تعمهم العقوبة والعذاب، إذا لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر، كقوله: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ (الأنفال: ٢٥)، وقوله ﷺ: «**إن الناس إذا رأوا المنكر، فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقابه**»(١).

٥- أن صدِّيق هذه الأمة أبا بكر رضي الله عنه دفع هذا الوهم، حينما قرأ هذه الآية وأوضح معناها، وبين أنها لا تدل على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: «**يا أيها الناس، إنكم تقرءون هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾** (المائدة: ١٠٥)، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الناس إذا رأوا الظالم، فلم يأخذوا على يديه، أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه**»(٢).

وفي رواية لأبي داود: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدرون على أن يغيرون ثم لا يغيروا إلا يوشك أن يعمهم الله بعقاب**»، وعند النسائي: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن القوم إذا رأوا المنكر، فلم يغيروه عمهم الله بعقاب**».

قال ابن النحاس في (تنبيه الغافلين ص٨٢): ولا نعلم أحدًا من العلماء ذهب إلى أن معنى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾، أنه لا يلزمكم أن تأمروا بمعروف ولا تنهوا عن منكر، لأن ضلال غيركم لا يضركم، معاذ الله أن يذهب إلى هذا أحد غير الجهلة العوام الهمج الرعاع، أتباع كل ناعق، إذا أمرت أحدهم بمعروف أو نهيته عن منكر قال: قال الله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾، فيتأول الآية إلى غير تأويلها، كما

---

(١) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان.
(٢) رواه أبو داود والترمذي والنسائي بأسانيد صحيحة.

قال سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ويُرْدفُ إثم المعصية بإثم تفسير القرآن برأيه، وهو من الكبائر كما سيأتي إن شاء الله تعالى، وما علم المسكين أن شؤم العاصي وعقوبته في الدنيا والآخرة تعم المداهن الذي لم ينكر المنكر قطعًا. اهـ.

وبهذا تبين الدلالة الواضحة على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر داخل في قوله تعالى: ﴿إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾، ويؤيده كثرة الآيات والأحاديث الدالة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وَهْمٌ آخَرُ وَرَدُّهُ

قد يتوهم الجاهل من ظاهر هذه الآية الكريمة: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (البقرة:١٩٥)، أن من جهر بكلمة الحق، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر عند سلطان جائر، أو أمير مسلط، فقد ألقى بنفسه إلى التهلكة، وأن هذه الآية الكريمة تشتمله، وهذا الوهم باطل مردود لما يأتي:

١ـ أن من جهر بكلمة الحق عند السلطان والأمير الجائر، فإنه من أفضل المجاهدين كما في حديث أبي سعيد الخدري: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر أو أمير جائر»[١]، فكيف يكون ملقيًا بنفسه إلى التهلكة، وهو من أفضل المجاهدين؟!.

٢ـ أن هذه الآية جارية على ألسنة كثير من الناس في مثل هذا لما غلب عليهم الجهل، بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولما استولى على قلوبهم من الركون إلى مداهنة الخلق وإيثار مودتهم وبقاء صحبتهم، وثقل كلمة الحق على ألسنتهم، وما يلقيه الشيطان في قلوبهم من الخوف والجبن واعتقاد أن

---

(١) رواه أبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن.

السكوت عن المنكر واجب، وما علموا أن التهلكة هي ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما تدل على ذلك النصوص الكثيرة.

٣ ـ أن أبا أيوب الأنصاري رضي الله عنه دفع الوهم حينما أولها بعض الناس بالمجاهد الذي يحمل على صفوف الكفار، فبين أبو أيوب الأنصاري سبب نزولها، وأنه ترك الغزو وإصلاح الأموال، فخرَّج الترمذي عن أبي عمران، قال: كنا بمدينة الروم فأخرجوا إلينا صنعًا عظيمًا من الروم فحمل رجل من المسلمين على صف الروم، فحمل رجل من المسلمين على صف الروم، حتى دخل بينهم فصاح الناس، وقالوا: سبحان الله يلقي بيده إلى التهلكة، فقام أبو أيوب الأنصاري، فقال: أيها الناس إنكم لتأولون هذا التأويل، وإنما أنزلت هذه الآية فينا معاشر الأنصار لما أعزَّ الله الإسلام وكثر ناصروه، فقال بعضنا لبعض سرًا دون رسول الله ﷺ: إن أموالنا قد ضاعت، وإن الله قد أعزَّ الإسلام، وكثر ناصروه، فلو قمنا في أموالنا وأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله تعالى على نبيه ما يرد علينا ما قلنا: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (البقرة: ١٩٥)، وكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها، وتركنا الغزو، فما زال أبو أيوب رضي الله عنه شاخصًا في سبيل الله حتى دفن بأرض الروم[1].

(١) «القول البين الأظهر إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» (ص٣٥-٣٩).

المراجع

* «تفسير ابن كثير».
* «تفسير القرطبي».
* «الكشاف» للزمخشري.
* «محاسن التأويل».
* «تفسير الرازي».
* «تيسير الكريم المنان».
* «ظلال القرآن».
* «فتح الباري بشرح صحيح البخاري».
* «صحيح مسلم» بشرح النووي.
* «سنن الإمام أحمد».
* «سنن أبي داود».
* «سنن ابن ماجه».
* «موطأ الإمام مالك».
* «صحيح الجامع».
* «صحيح الترغيب والترهيب» للألباني.
* «شرح السنة» للبغوي.
* «الفتاوى الكبرى» لابن تيمية.
* «الحسبة في الإسلام» لابن تيمية.
* «مجموع الفتاوى» لابن تيمية.
* «زاد المعاد» لابن القيم.
* «أعلام الموقعين» لابن القيم.

obeikandl.com

* «**طريق الهجرتين**» لابن القيم.
* «**الداء والدواء**» لابن القيم.
* «**مدارج السالكين**» لابن القيم.
* «**إغاثة اللهفان**» لابن القيم.
* «**كتاب الروح**» لابن القيم.
* «**البداية والنهاية**» لابن كثير.
* «**التبصرة**» لابن الجوزي.
* «**صيد الخاطر**» لابن الجوزي.
* «**صفة الصفوة**» لابن الجوزي.
* «**بحر الدموع**» لابن الجوزي.
* «**لطائف المعارف**» لابن رجب.
* «**التخويف من النار**» لابن رجب.
* «**رسالة الخشوع في الصلاة**» لابن رجب.
* «**أدب الدين والدنيا**» لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي.
* «**إحياء علوم الدين**» لأبي حامد الغزالي.
* «**أسرار الصلاة**» لأبي حامد الغزالي.
* «**الحلال والحرام**» لأبي حامد الغزالي.
* «**المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح**» للإمام الدمياطي.
* «**الزهد**» لابن المبارك.
* «**الكبائر**» للذهبي.
* «**العزلة**» للخطابي.
* «**حلية الأولياء**» لأبي نعيم.
* «**التذكرة**» للقرطبي.

obeikandl.com

* «الرسالة» للإمام الشافعي.
* «الرسالة» للقشيري.
* «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» للقاضي عياض.
* «نصب الراية» للزيلعي.
* «حياة الصحابة» للكاندهلوي.
* «الضياء اللامع» لابن عثيمين.
* «رسالة في الدعوة» لابن عثيمين.
* «الحسبة ودور الفرد فيها» عبد الله مبروك النجار.
* «أصول الدعوة» عبد الكريم زيدان.
* «الدعوة الإسلامية في ضوء القرآن والسنة» محمد رجب الشتيوي.
* «الدعوة قواعد وأصول» جمعة أمين عبد العزيز.
* «هداية المرشدين» علي محفوظ.
* «تذكرة الدعاة» البهي الخولي.
* «حتى لا تغرق السفينة» سليمان فهد العودة.
* «من أخلاق الداعية» سليمان فهد العودة.
* «الجهاد .. ميادينه وأساليبه» محمد نعيم ياسين.
* «الأخلاق في الإسلام» يعقوب المليجي.
* «القول البين الأظهر في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» عبد العزيز عبد الله الراجحي.
* «أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» عبد الله بن حسن آل قعود.
* «هل طرقت الباب» محمد العريفي.
* «الدرة المرضية شرح منظومة القواعد الفقهية» جمعة صالح محمد.
* «السنة النبوية الشريفة» أحمد كريمة.

obeikandl.com

* «الجزاء من جنس العمل» سيد حسين العفاني.
* «سرعة العقاب لمن خالف السنة والكتاب» محمد بن عبد الله با موسى.
* «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد» سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب.
* «شأن الكلمة» محمد بن سعيد بن رسلان.
* «محرمات استهان بها الناس» لمحمد المنجد.
* «السلوك الاجتماعي» حسن أيوب.
* «أربعين خطأ للسان» وحيد عبد السلام بالي.
* «العذر بالجهل» الشريف محمد فؤاد هزاع.
* «الحلال والحرام» يوسف القرضاوي.
* «رسالة تعظيم قدر الصلاة» لأحمد فريد.
* «الصلاة لماذا؟» محمد بن إسماعيل.
* «فتاوى اللجنة الدائمة».
* «الويل لك يا تارك الصلاة» لمحمد عبد الملك الزغبي.

obeikandl.com